نبضات فكرية وخواطر تفكرية

"بناء الحضارة"

هو وقف لله تعالى لا يُباع ولا يُشترى ولا يُتاجر بأفكاره بأي شكل من الأشكال...

يُفضّل أن لا يتبنى أحد أية فكرة في هذا الكتاب باسمه لأني أتحمل مسؤوليتي في كل فكرة قلتها وسأحاسب عليها وربما يكون البعض منها خاطئا أو يُفهم بالخطأ...

انشروا هذا الكتاب بين أصحابكم وأهليكم ولا تدعوه يقف عندكم ولكم الأجر والفضل، وأنا جعلته رقميا لا ورقيا حتى يسهل تشاركه ونشره...

إبراهيم المغربي

إهداء

أهدي هذا الكتاب المتواضع لحبيبي ربي الذي ألهمني وسدد فكري وهداني إلى هذا العمل، سائلا إياه أن يبارك فيه وأن يزكّي هذه الفكرة ويحتضنها برحمته ورضاه، كما أسأله تعالى الرضا والقبول. أشهدك يا رب أنني ما قمت بهذا العمل ابتغاء مال ولا جاه ولا شهرة، إنما هو عمل ابتغاء وجهك وأهديكهُ اليوم آملا أن تفرح به يوم ألقاك وتتقبله مني، يا رب...

وأهدي هذا الكتاب إلى حبيبي ومهجة قلبي وسنا عيني ونبراس طريقي، إلى الرحمة المهداة الذي أشتاق كثيرا لرؤية وجهه الكريم فأقبل رأسه ويديه الشريفتين. أنتظر اليوم الذي أجالسك فيه يا حبيبي، وأحادثك وأخبرك أنني كنت أكتب كل جملة وكل كلمة وعقلي يفكر فيك ويأمل في نصرتك والسير على دربك ونهجك، فأبلغَ بعضا مما تركت ما استطعت، وآمل أن يجمعنا الله تعالى على الحوض وأنا حامل كل أعمالي وكل ما كتبته وسأكتبه إن شاء الله وأخبرك أنني فعلت كل ذلك حبا فيك ورغبة في مرافقتك يا حبيبي....

كما أهدي هذا الكتاب إلى حبيبتي أمي التي ربّت وسهرت وتعذبت وعانت وقاست القهر والعياء والعناء حتى أبلغ ما بلغت من الصحة والراحة والفكر. أتمنى أن تحيطيني برضاك يا أمي وتقبلي مني صغير ما أفعله لأجلك مقابل عظيم ما فعلت وما تفعلين لأجلي...

وأهديه أيضا لأبي الغالي الذي طالما سهر على تأمين راحتنا وأمْنِنا أنا وأخي ورعانا وحمانا وتعِب وكدّ من أجلنا كثيرا، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناته وأن يصبر على سوء فعلي وجزيل إيذائي لأني مقصر في حقه وحق أمي كثيرا، وأطلب غفرانهما...

أهديه إلى حبيبتي وتوأم روحي وملهمتي وحبي وعشقي الكبير الذي رافقني في أيام صعبة من حياتي، صبرت علي وكانت حليمة حنونة لأيام وليالي وضحت ولا زالت تضحي. أسأل الله تعالى أن يجمعني بك يا رباب قريبا جدا وأن يلتم الشمل ونكون رفيقين في الدنيا والاخرة...

كما وأهديه لجميع أعمامي وأخوالي وكل أسرهم الصغيرة والكبيرة، وأهديه، لن أقول لأصدقائي، بل لإخواني وأخواتي خاصة لكل من شجعني خلال فترة الكتابة وسهر على دعمي ومساندتي،... أقول لكم شكرا جزيلا ويعلم الله قدر تقديري لكم آملا أن تلقوا بعض آمالكم في هذا الكتاب وأن يكون نتيجة طيبة لطول انتظاركم وكريم دعمكم... سائلا الله تعالى أن يجمعني بكم جميعا عنده برفقة أهله وخاصته كما جمعني بكم في الدنيا، كل باسمه وكل بمكانته إذ لا يسعني المجال هنا لذكر الجميع...

بين يدي الكتاب

الحمد لله ربي وحبيبي، خالقي ورازقي والمنعم علي بنعمه، حمدا يليق بجلاله وكماله ونواله وجماله، أنعم علينا بنعمة العقل والفكر، فنراه في كل خلقه ومخلوقاته ونبحث عنه ونقتفي أثره في عوالم كونه... والصلاة والسلام على خير الورى وشفيع الأنام، صلاة كما أمر ربي وفعل، وسلاما يزرع في قلوبنا اللطف والحب والأمل... أرسله الله تعالى مبشرا ونذيرا بين يدي الساعة، فكان المربي والمهذب والناصح العطوف، والمعلم والأستاذ والزوج الحنون، والفيلسوف والمفكر منبع الفنون، فهو الفنان في التربية والفنان في الاقتصاد والمبدع في السياسة والمؤطر لأعظم جيل بشري عرفته الأرض منذ آدم عليه السلام... وبعد:

"نبضات فكرية وخواطر تفكرية" (بناء الحضارة) هو كتاب متواضع أتمنى أن يكون الخطوة الاولى لسلسلة بسيطة من الكتب، يحمل بين طياته أفكارا وتفكرات ومناقشات لقضايا وظواهر مجتمعية مستشفة من واقع الحال، كانت عصارة لمدة طويلة من البحث والقراءة والمعاينة والنقد، نتدارسها ونحللها ونضع بعض الإقتراحات للحلول الممكن تمثلها، في شكل مبسط بسيط، بعيدا عن التعقيدات والصفحات الطوال المملة؛ هي وقفات قصيرات الشكل، لن أقول عظيمات المضمون ولن أمدح أي فكرة من أفكار الكتاب، بل هي رُؤى ومناقشات غايتها أكبر من شكلها ومن طريقة مناقشتها التي أتمنى خالصا أن يسامحني القارئ الكريم إن لم يستصغ بعضها.

هو كتاب على شكل خواطر، بعض منها عشتها شخصيا، والبعض الآخر سمعت عنها أو بحثت في أمرها؛ فحررت الكل في قالب مشابه وتركت ترتيبها بحسب تراتبية الزمن الذي كتبت فيه حتى أترك للقارئ فرصة ملامسة بعض مواقفي الحياتية والبحث عن ذاته ونفسه فيها ومحاولة إعمال عقله وفكره في المواقف خاصته... ما لي غاية من كتابته سوى غيرة حركت قلبي من مواقف ومشاهد وأفكار سادت وتسود اليوم، غيرة قلبٍ أحب أن يرى مجتمعا متماسكا قويا مبنيا أسس متينة وقواعد صلبة من أجل تشييد حضارة قوية ليست بالغريبة عنا، فنحن نسلٌ لجدود قادوا أعظم حضارات التاريخ وأقواها، إذ كانوا أسيادا بالعقول وشرفاء بالقلوب وملائكة بالأرواح...

أتمنى من الله التوفيق والسداد، وأتمنى أن يجد كل قارئ بعض حاجته وجوابا على بعض تساؤله، وأسال الله تعالى التوفيق والهدى والرشاد في هذا العمل وكل عمل غايته العودة إلى الأصل: تشييد الحضارة وإعمارها.

إبراهيم المغربي

لماذا "نبضات فكرية وخواطر تفكّرية"؟

هذا العنوان لم يأت اعتباطا، بل هو نتيجة لمدة ليست بالقصيرة من التفكير في عنوان يكون الأنسب ويكون اختصارا لتوجه الكتاب والغاية منه، خاصة وأنني من خلال هذا الطرح حاولت أن أشرك القلب وعواطفه، والعقل وأفكاره وأدمج الإثنين معا فأدغدغهما وأشغلهما معا، بحثا عن إحداث التوازن والتوافق، فلا غلبة للعقل وصلابته ولا للقلب وليتنه؛ هو التكامل لا التنافر، بعيدا عن كل التأثيرات والمؤثرات...

القلب ينبض ويخطر والعقل يفكر ويتفكر، وفي كل خاطرة وكل نبضة من خواطر ونبضات الكتاب سترى جولات قلبية وعقلية... علنا نحيي قلوبنا جميعا فنتماسك ونتكامل، ونحيي عقولنا فنجتهد ونبدع...

من هو "إبراهيم المغربي"؟

في الحقيقة، إسمي هو إبراهيم، لكن "المغربي" تبقى كنية مستعارة لا علاقة لها بكنيتي الحقيقية، هذه الكنية المستعارة لم تأت من فراغ أيضا، فخلال كتابتي لهذا الكتاب أو تقديم أي عمل من أعمالي الفنية والأدبية أعتمد على مراجع ومصادر، فأقرأ وأستمع وأبحث وأشاهد وأعاين... أطور هذه المشاهدات والأبحاث إلى تدوينات وكتابات لا تخلو من طبيعة الحال من بعض الذاتية بحسب الخلفية والمرجعية المغربية ذات الهوية العربية الإسلامية...

أنا لست أستاذا ولست مدربا ولا فيلسوفا ولا مفكرا ولا كاتبا أيضا، ولست بشيخ ولا بعالم... أنا إنسان ميزني الله، كما ميّز غيري وميزك أيضا، بعقل، فاحترمت هذه الهبة وقدرتها كما قدرها الكثيرون وحاولت ما أمكنني وضعها في سكة صحيحة سليمة وأفَعِّل قدراتها على القدر المستطاع، وكما قلت في مقدمة الكتاب، كل ما استفزني للكتابة هو غيرة حرّكت قلبي وأثارت عقلي، وجاءني الحنين إلى أيام قرأت عنها وسمعت عنها... لم أعشها لكني صدقتها وآمنت بإمكانية العودة إليها، فنكون حضارة قوية تنافس باقي الحضارات بل وتتعداها لم لا. يمكن أن يبدو كلامي كبيرا وحالما وربما مستحيلا، لكني أقول أن إيماني كبير وطموحي أكبر وثقتي في ربي أعلى وأهم، ولا يزال الخير في الأمة حتى قيام الساعة.

ما كان من توفيق في هذا الكتاب فهو من الله، وما كان من زلل وخطأ وشبهة فمني ومن الشيطان فاعذروني وقوّموني.

على بركة الله نبدأ...

الحب، أصل الوجود

خلق الله تعالى هذا الكون بسماواته وأراضيه وكواكبه ومجراته وسخرها للبشر. فكان الرابط بيننا وبين ربنا هو حبه لنا لذلك تنعم على البشر بجزيل النعم التي لا تنتهي، وجعل للصالحين منهم جنات عرضها السموات والأرض جزاء بما كانوا يعملون.

نعم هو الحب أسمى المشاعر وأعلاها، والرابط الذي يجمع المخلوقات في بينها ويربطها بخالقها ويربطها بالكون كله وبالمخلوقات المتواجدة به.

اختلف الكثيرون حول مكان الحب، فهناك من قال أن مستقره القلب وهناك من قال أن مكانه العقل لأن الحب يعتمد على التخطيط والتفعيل والتفكير، لكن غايتنا نحن هي معرفة ما يتلو هذا الحب، خاصة إذا تحدثنا عن الحب كأصل للوجود.

الحب في الله هو أن نضع الله أمام أعيننا ونعيش بالآمال التي وضع بنا فطرة، فنحقق الرغبة الربانية ونعمر الكون ونطوره محترمين كل مخلوقات الله المجردة والمخلوقات المحسوسة الملموسة، فلا نظلم مخلوقا كان ما كان، جامدا، متحركا، به روح... نعيش بحب ونحترم كل ما خلق الله تعالى...

ربما جعلنا الله تعالى مركزا لهذا الكون الفسيح العظيم، لكن هذا لا يجعل منا ظلمة معتدين على باقي المخلوقات المسخرة لنا، بل أساسا هذه مهمتنا التي أرسلنا بها، وهي الحفاظ على هذه المخلوقات وصيانتها وتأطيرها وتأمل الحكمة منها ومن جعلها رفيقة لنا مراعين في ذلك الحب والاحترام الربانيين.

الحب كما هو معلوم شعور يجمع بين طرفين، إحساس غير مشروط بزمان ولا بمكان ولا تحد من قوته أية عراقيل لا تساوي شيئا بالمقارنة مع قيمته... وعلاقة حبنا بربنا تبقى العلاقة الأغرب والأقوى لأنها علاقة هبة ومنح، نحن نمنح ذواتنا وأرواحنا في سبيل عشق ربنا، وهو سبحانه جهز لنا كل هذا الكون العظيم الفسيح لاستقبالنا ويحقق لنا ما نرغب فيه وما نشتهيه ويحمينا من شرور أنفسنا... هو الحبيب القريب منا اكثر من أنفسنا ونحن نستشعر وجوده وكرمه وحنانه في مخلوقاته الرائعة المعجزة لعقولنا...

الحب في الله نعمة عظيمة من الله، طوبى لمن استشعرها وعاش بها، وخاب من تجاهلها وجهلها؛ أحبوا ربكم، أحبوا كل نعمائه ومخلوقاته فوالله لحلاوته تملأ القلب ملأ وتغشاه غشاوة.

الإبتلاء، بين الرضا والسخط

يوما بعد يوم تكثر الابتلاءات ومع الابتلاء يتبين يقين العبد في ربه، فإما حامد شاكر، وإما جاحد ساخط. رأيت كثيرا من النماذج طوال حياتي القصيرة، نماذج تختلف أعمارها ومستوياتها الاجتماعية، لكن الغريب هو أن أغلب هؤلاء الناس يخالجهم بعض اليأس الباطني بالرغم من أنهم يظهرون الرضا...

فأطرح سؤالا على نفسي: كيف يقنط كل مبتل وهناك رب كبير رحيم رحمن، وهاب منان، لا يحرم من دعاه، ولا يرد من ناداه، وهو سبحانه وتعالى بيّن لنا ذلك في عدة مواضع من كتابه الذي نتشرف بحمله وقراءته لأنه كلام الله وما أعظمها من مسؤولية أن يكون بين أيدينا كتاب يحمل كلمات نطقها خالق السموات وأنزلت على خير مخلوق بواسطة أعظم ملك في أقرب ليلة إلى الله !!

قال حبيبي ربي: "إن مع العسر يسرا" هل سكت حينما قالها؟ لا بل كررها مرة ثانية دليلا على التأكيد واليقين المطلق، بل وأنه سبحانه وتعالى لم يجعل بين كلمتي العسر واليسر أي فاصل سواء كلمة أو حرفا فدل على أن اليسر يتبع العسر مباشرة، ربما يطول هذا العسر وهذا من رحمة الله تعالى إذ أنه يخفف على عباده ذنوبهم بكثرة ابتلائهم، والله عز وجل إذا أحب عبدا ابتلاه حتى يجرب مدى صبر هذا العبد الحبيب إليه ثم يكرمه مباشرة وييسّر عليه بوعده الذي جاء في الآية، وهذا وعد قطعه الله على نفسه، ومن المستحيل المطلق أن لا يفي الله تعالى بوعده.

ولن نكون أفضل من أيوب عليه الصلاة والسلام الذي فقد المال والبيت والأولاد... فقد كل شيء حتى الصحة، فكان كالمشلول وجسمه هار يملؤه القيح وكثُر عليه الدود والذباب فلم يسخط بل كان من المحتسبين لمدة قاربت العقدين من الزمن فجاء اليسر بوعد من الله وعاد أيوب عليه السلام أفضل ما كان في حياته واسترجع أبناءه وكل أملاكه و زادت البركة بفضل من الله.

كلمة نقولها كثيرا وربما لا نعي مغزاها الحقيقي "الحمد لله" فلو علمنا كم الله بنا رحيم وكم يحبنا لما نطقنا كلمة سخط بل لما جاء في فكرنا قنط من رحمة الله. وليعلم كل قارئ أن أكثر ساعات الليل سوادا هي تلك التي يليها طلوع الفجر، فلا يقنط من مرض وفقر وفاقة وقلة صحة وضعف وفشل، بل يرى النصف المملوءة من الكأس ويبحث ويتفكّر في حاله ليجد الحكمة والغاية من ذلك السوء، فيتبيّن الخير منه.

أتمنى أن نعي جيدا معنى الحمد لله ونعيش بها ونؤسس لحياة كلها رضا وحب لله تعالى...

الحب، قول وتجسيد

مليار ونصف المليار مسلم وأكثر يعيشون على أرض خالقهم بمختلف جنسياتهم وأعراقهم، إذا سألت أيا منهم عن الله سيجيب مباشرة أنه يحب الله ويعشقه تمام العشق، لكن بالمقابل ترى من كثير منهم عجبا ويغيب معنى الحب في حياتهم تجسيدا.

وهنا يُطرح السؤال، ما هو التجسيد الحقيقي لمعنى "حب الله"؟

الحب ليس قولا نحرك به الشفاه، الحب أسمى وأعظم من ذلك، وكما قلنا سابقا فالحب به بني الكون وخلقت السموات والأرض، فلا يمكن تكبيله بكلمات وتعبيرات شفهية بسيطة تنقص من حجمه الحقيقي كثيرا.

حب الله هو اختيار رغبة الله قبل رغبة النفس، أي عندما تتقاطع رغبة الله مع رغبة النفس يجب تقديم رغبة الله تعالى وهذا هو المعنى الحقيقي لكلمة "أحبك ربي". كثيرا ما نؤخر نداء الله للصلاة بسبب مقابلة كرة قدم وكثيرا ما نغضب الله لأننا نخاف من سخط الزوجة أو الأبناء... هل هذا فعلا يثبت حقا التعبير الشفهي عن الحب، وكم ترى من تعبيرات راااائعة عن حب الله على صفحات المواقع الاجتماعية وصور البروفايلات كلها حب لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، تجعلك تشعر أن القلوب بخير،... لكن هل هي حقا كذلك؟

يجب على المليار والنصف من المسلمين التفكير بجدية في الإجابة الصحيحة الصريحة عن سؤال حب الله، لأنه بحبنا الحقيقي لله نسعد في الدنيا ونحيا كراما فلا نحب بعد الله أحدا ولا نخضع إلا لمن يستحق الخضوع فعلا، فهو الخالق وهو الرازق وهو واهب كل شيء ومحقق الاماني والأحلام، ولا يعقل أن نجد بديلا عنه وعن عشقنا الفطري العذري له سبحانه...

فلنعش بالحب، الحب الحقيقي وليس الحب المزيف الذي ربينا أنفسنا عليه وصدقناه، فأهملنا السعادة الحقيقية حينما أهملنا الحب الحقيقي... جعلنا من قلوبنا حافلات تحمل ركابا وتنزل آخرين، وكل هؤلاء الركاب مخلوقات مثلنا أو أقل منا لا يساووننا في شيء، فذهب الاصل وهو أن القلب ما جُعل إلا لحب خالقه (لا أتحدث عن حب الوالدين والزوجة فذاك حب مشروع، لكن هنا أتحدث عن حب العبادة)...

وكما هو معلوم فالحب شعور يصدقه القلب وتفعّله الجوارح، إذ تتبع الجوارح محركه وقائدها القلب نحو محبوبه، وإذا كنا نعبر عن حبنا لله شفها ونقول أن قلوبنا تمتلئ حبا له يجب أن نرى توافق عمل الجوارح مع هذا الحب، فنرى إرضاء لله بالفعل وتجنبا لكل ما يجلب علينا سخطه سبحانه.

المسجد، معقل النجاح الحقيقي

يقولون أن قوة المسلمين مرتبطة بالمساجد، إذا كانت ممتلئة خاصة في صلاة الصبح آنذاك يمكن اعتبار المسلمين قوة يصعب قهرها، وإن كان العكس فحال المسلمين اليوم يثبت النتيجة. لكن ما علاقة المساجد بقوة الأمة المسلمة؟

إذا تحدثنا عن القوة والتقدم والنجاح فمن يرزقنا كل تلك النعم؟ من طبيعة الحال الله الرحمن هو من يرزقها، وأين يمكننا الإتصال بالله والانفراد به سبحانه ومناجاته؟ من طبيعة الحال في المساجد، إذن هنا يمكن السر والخلطة السحرية التي عرفها المسلمون السابقون الذين أنشأوا أعظم حضارة في تاريخ الإنسانية، فكانوا يعمرون مساجد الله متحدين تجاه قبلة واحدة متراصين وساكنين تغشاهم الطمأنينة في بيت أجمل مضيف يشكرونه على كل خيراته ونعمائه ويطلبون منه ما شاءوا وما رغبوا فيه وكل ما ينقصهم في أرواحهم وذواتهم، ثم يتوكلون عليه سبحانه وينطلقون لإعمار أرضه وتطويرها وبناءها والإبداع فيها، فكانت لهم الدنيا كلها تحت سيطرتهم ونجحوا نجاحا أخلاقيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ربما يفوق ما نحن عليه اليوم بالمنطق العلمي التاريخي.

أما اليوم وبعدما هجرنا المساجد أي بمعنى أننا هجرنا الله سبحانه وتعالى وهجرنا الصلة به واللجوء إليه كذلك هو هجرنا، فهجرتنا البركة والرحمة والتوفيق وفقدنا كل شيء، فقدنا العلم والرقي والكرامة والنخوة... فقدنا كل شيء حتى الهوية والدين، وأصبحنا اليوم عارا على الإسلام وعلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلمنا وتأثرنا بفكر وهوية وثقافة دخيلة وتبنيناها كما تبنينا كل شيء بمنهجنا الإستهلاكي الضعيف الضال؛ فكيف سيفخر بنا الحبيب عليه الصلاة والسلام ونحن ضيعنا سننه وأهملنا نهجه الرائع القويم؟ هل بوضع اسمه الشريف على صور بروفايلاتنا في المواقع الإجتماعية ذات الصناعة الغربية؟... صرنا اليوم جيلا مستهلكا بالكلية فلا ننتج شيئا.

ربما يتبادر إلى ذهنك سؤال يطرحه الكثيرون، وهو: لماذا يبارك الله تعالى للغربيين أعمالهم رغم أن منهم الكفار والملاحدة والمشركين؟

هذا السؤال هو ما يتحجج به الوجوديون والعلمانيون والملاحدة، والجواب هو أن هؤلاء ربما ضيعوا الدين لكنهم يعملون بإخلاص ويستحضرون كل الاخلاق في أعمالهم ولا يعيشون بالتظالم فيما بينهم، ويحكمون القيم والمبادئ في كل حياتهم، ومن يعيشون من العرب بينهم يؤكدون كل ذلك؛ وهناك حديث صحيح صريح في هذا الباب، إذ أن الله يهلك القرية الظالمة المسلمة ولا يهلك القرية العادلة غير المسلمة (نتحدث عن نجاح عن الدنيا طبعا).

علامات الساعة الكبرى على الفيسبوك

كنت أتصفح منشورات الفيس بوك فوجدت البعض منها مثيرا جدا، خاصة تلك التي تتحدث عن علامات الساعة الكبرى بما في ذلك من تحريف لما ورد في السنة النبوية الشريفة، والأخطر الذي جعلني أكتب هذه الخاطرة هو الحديث الذي يتم رفقه في نهاية المنشور، وهو على الشكل التالي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نشر عني هذا فقد ضمنت له مقعدا في الجنة". حديث ما هو بحديث، حديث مكذوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجب التوضيح...

أولا علامات الساعة الكبرى هي عشر كما وردت في السنّة، وهي: خروج المسيح الدجال، ظهور الدابة، نزول المسيح عيسى عليه السلام، يأجوج ومأجوج، الدخان، طلوع الشمس من مغربها، ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بجزيرة العرب، وأخيرا نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

ثانيا الحديث الذي تم ذكره في البداية حديثٌ لا وجود له في الكتب الصحاح وأصلا كيف يعقل أنّ نشر حديث (مغلوط في معلوماته) يمكن أن يضمن للشخص مقعدا في الجنة؟ وأين هي الصلاة والزكاة والصوم والحج، أين هي الأخلاق؟ أين هو الإيمان وشعبه؟ أين هو حسن العبادة؟ أين هو التفكر؟

أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل البشر بعض الأنبياء مباشرة ولم يضمن لنفسه الجنة رغم أنه من المبشرين بها، ونحن نأتي ونقول أن نشر كلام يمكن أن يضمن لنا الجنة !!؟

وهنا وجب ذكر حديث صحيح وخطير للحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". لذلك وجب الحذر جزاكم الله خيرا.

الله عز وجل يُعبَد عن علم، وأولى أن نبحث في أمور ديننا ونكون ذوي معرفة بقواعده، وأن نقرأ سيرة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ونعلم الحق الحقيق عنه، وليس كلاما مكذوبا يشجع على قلب الموازين والمفاهيم. فاحذروا إخوتي لأن الرجل يمكن أن يقول الكلمة لا يلقي لها بالا (بحسن نية ولكن بجهل) تهوي به سبعين عاما في قعر جهنم !!!

أتمنى أن يصل الكلام إلى كل من يعنيه الأمر، وهذا من باب التذكير فقط، وليعلم الجميع أننا كلنا نتعلم وكلنا طلاب علم، ما نحن بعلماء ولا شيوخ، وإنما نحن دعاة لله فقط، ننقل الصحيح ونوقف الباطل ما أمكننا ذلك.

العبادة حتى النجاح

العبادة المرجوة منا والتي تعتبر بالأساس مصدر السعادة وملهمتها هي معرفة الله وحبه وتقدير نعمه الكثيرة جدا علينا، فمن عرف الله عبده عن علم وزاد منه قربا وتقربا وفهم بشكل أكبر كيف يعطي لحياته معنى وكيف يبني مستقبله انطلاقا من تجارب وأخطاء ماضيه، وسيلتنا لمعرفة الله هي القرآن الكريم ونهج الفلسفة والفكر النبوي العظيم الذي حير كبار المستشرقين والفلاسفة والمفكرين الغرب قبل العرب،...

معرفة الله سبحانه وتعالى تبدأ من جسدنا المليء بالخبايا والأسرار التي كلما اكتشفنا أحدها فوجئنا بعظمة خالقنا،... ثم الإنطلاق في عوالم الكون نستطلعه ونسبح في خفاياه بما رزقنا الله تعالى من عقل وحواس فنحسن معرفة الله تعالى أكثر، بالإضافة إلى ذلك العبادات والفرائض التي لا يمكن لعقل واع التفكير في رفضها أو مناقشتها لأنه يستحيل أن لا نشكر الله تعالى من خلال الصلاة والصوم و... على كل الخير والنعم والفضل الذي نعيش فيه اليوم، وأيضا بالاخلاق، هذه الاخلاق التي -والله- تسعد القلب كثيرا وتزيده عفة وقوة وشخصية وكبرياء وثقة في النفس، ولن نجد شخصية أحلى وأعظم وأقوى وأجمل من شخصية الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه الذي استغرب واستعجب لجمال شخصيته كل من تقرب منه بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر من خلال قراءة سنته وقصة حياته واستطلاع خبره...

عبادة الله تعالى مجال فسيح عظيم ومتنوع بتنوع العلوم ويشمل مجالات الحياة كلها ويمكن للإنسان أن يجعل من حياته تطبيقا مشاهدا لهذه العبادة فيحيا مع الله وبالله وبين يدي الله، خاصة وأن كل ما لدينا مصدره الله، فالصوت الحسن من الله والذكاء من الله والجمال من الله والرسم من الله و.. و.. ومن الروعة أن نهب كل هذه الهبات في سبيل ما يرضي الله ويفرحه بنا وهذا باب من أبوب العبادة التي تعتبر مجالا رحبا واسعا لا يشمل الصلاة والصوم فقط كما يظن بعض الناس، بل يمكن أن نجعل من وجودنا في الدنيا عبادة.

فلنعش بهبة كل ما لله إلى الله ولنربط كل ما لنا بحبيبنا سبحانه وتعالى نعش السعادة الحقيقية، لا نحزن لفشل بل نرضى ونبتسم في وجه كل تعثر فننهض من جديد ونجدد القوى ونتعلم من أخطاء فشلنا ثم نبني خططا صلبة ومشاريع أكبر وأقوى وننجح في علاقتنا بملكوت ربنا الملموس بعدما ننجح في عالمه الروحي القلبي.

لا إله إلا الله

"لا إله إلا الله"، هي كلمة التوحيد ومفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، والخطوة الأولى للدخول في الدين الذي ارتضاه لنا خالقنا والوحيد الذي يعرف أين تكمن المصلحة المثلى بالنسبة لنا... لكن قليل منا من يقف مع هذه الكلمة العظيمة التي بُنيت عليها أقوى الحضارات وأعظمها عبر التاريخ، ويعطيها ولو بضع دقائق من وقته حتى يجعلها حقا شعارا حقيقيا لحياته...

إذا تأملنا هذه العبارة الجميلة حقا وجدناها تتكون من قسمين، القسم الأول هو "لا إله"، أي لا معبود ولا متبوع ولا خنوع لأي شيء مهما كان وكيفما كان، لا مال ولا امرأة ولا سلطة ولا أراضي ولا مشاريع ولا أكل بل هناك من يعبد نفسه ويقدسها لدرجة اللامنطق... ولا أي شيء من تفاهات الدنيا الزائلة، فكيف لي أنا الإنسان الذي كُرِّمت على كل ما يوجد على الارض، حتى أنني كُرِّمت على الملائكة النورانية التي لا تخطئ وسجدت لي وطُرد إبليس من السماء حينما رفض السجود لي، فكيف أسجد أنا لمن هو مثلي أو لمن هو دوني بدركات ودركات؟؟؟؟ كل ذي منطق يصعب عليه فعل ذلك واعتبار أية تفاهة (التي تعتبر وسيلة لإرضائي ومسخرة لي ولخدمتي) إلاها لي !!

"لا إله" تفيد الشمول والتعميم فتحسم في أمر وجود أي إله، ثم يأتي بعد ذلك الاستثناء العظيم والكبير، وهو استثناء الله تعالى من خلال قول "إلا الله" أي أن كل ما لا يجوز ربطه بإحدى المخلوقات الدنيوية التافهة يجب صرفه إلى من خلقنا وخلق كل المسخرات لنا، من السماء ونجومها إلى الارض وبحورها وكنوزها وما عليها من نعمائها... فيتجلى لكل عاقل تشريف عظيم وكبير جدا من رب خالق مبدع،إذ جعلنا تعالى فوق المخلوقات كلها بدون استثناء وما جعل بيننا وبينه أي حاجز أو فاصل فنكون بذلك على هذا الشكل: الله <=====>إنسان <==> بقية المخلوقات.

والآن يبقى المشكل المطروح حقيقة هو عندما نرى أناسا جعلوا من رزقهم وما يملكون إلها (بشكل غير مباشر) فسعوا وراءه بجد وكد وناموا عن طلب الرازق والاستنجاد ببركته ومباركته. ولنا في الصحابة ومن بعدهم خير مثل، إذ عرفوا الله حق المعرفة وعرفوا المعنى الحقيقي للمعادلة التي كُتبت سابقا فلم يهموا بالدنيا ولكنها كانت تتبعهم تبعا فلم تصل أية حضارة عبر التاريخ إلى ما وصله المسلمون من الرقي و"الاحسان والابداع" والنجاح، رغم أنه لم يجعلوها أبدا أولوية...

"لا إله إلا الله" مبدأ الحياة الناجح، مبدأ الرقي والسمو والكرامة، مبدأ السعادة والعلم والثقة، سعد من عرف معناه وتعس "حقا" من جهل هذا المعنى.

الفراغ العاطفي

مؤخرا لاحظنا ظهور مصطلحات غريبة في المعنى وفي المصطلح عنا، فما هي من هويتنا ولا من ثقافتنا (بالأساس لا معنى لها في ديننا) ونذكر منها اليوم "الفراغ العاطفي" هذا المفهوم الوهمي المستفز صراحة الذي كسر حاجز الحياء والاحترام والسماحة وأعطى مجالات ومساحات كبيرة نحو ظهور عادات جديدة متبوعة بكوارث عاطفية وانشقاقات أسرية وبالتالي انهار بنية أية حضارة: "انهيار المجتمع"...

بالعودة إلى أصل وأسباب هذا المعضل نجد أن النقص والفراغ يكون على مستوى الاسرة حينما تظهر الهوة بين الأبوين وبين الأبوين وأبنائهما، تجد الأب منشغلا طوال اليوم فيعود للبيت تعبا جدا أنه يكد ويعمل من أجل ضمان مستقبل آمن لأبنائه فلا يعطيهم بعضا من وقته وربما حتى لزوجته، هاته الاخيرة التي أصبحت اليوم "بعد التحرر" لا تجد الوقت لأبنائها فهي حيرى بين العمل وتسريحات الشعر وجديد الموضة والملابس واجتماعات النساء والجمعيات، فتتركهم أيضا، إما للجيران أو لأحد أفراد العائلة... السعي وراء الدنيا ومتاعها من أجل فتات ربما لن يدوم الاثنين حتى يستمتعا به... في الشط الاخر هناك أبناء فقدوا حنان أبويهم ولم يعرفا طريقا له، وبطبعنا البشري نحن تواقون لصدر يغشانا بالحنان والعطف.. هذا العطف والحنان إذا غاب عنا تكون طريقه مشروعة مهما كانت مصادره فترى "خاصة الفتيات" يبحثن عن أول صدر –حنون- يملؤ نقصهن ويلبي حاجتهن للأمن والطمأنينة، هذا الصدر في غالب الأحيان يكون صدر ذئب مترصد لأول فريسة تسقط في شباكه !! آنذاك يبدأ الحديث عن "الأمهات العازبات" و "دور الدعارة" و"الفساد الأخلاقي" و.. و... أما الذكور فيحرمون من الشعور بالأمان ويحرمون من القدوة الاولى في حياتهم فتكبر أجسامهم وتضعف شخصياتهم وتهتز اهتزازا، بذلك تكون أعمدة المجتمع -أي رجال الغد- ضعيفة جدا لا تقوى حتى على إعالة نفسها فما بال إعالة حضارة كاملة... إذن كنتيجة يمكن الجزم أن المجتمع قد هدّم وخرّب تخريبا وضاع كل شيء بضياع الجيل القادم !!!!

إذا عدنا للتاريخ وبحثنا عن أول تجسد لمعنى "الفراغ العاطفي" عند المسلمين وجدنا أنه كان بالاندلس (قادما من فوق –أوربا-) وكان أحد أسباب سقوطها، إذ دخل جاسوس الأندلس فأول ما وجد هو شاب يبكي تحت شجرة، سأله عما يبكيه فأجاب الشاب: كنت على موعد هنا مع حبيبتي فأخلفت الموعد؛ ثم انتشر الداء بين ظهراني المسلمين فضعنا ضياعا وفقدنا العزة والكرامة حينما تضررت معظم لَبِنَات مجتمعنا –الأسر- .

الموهبة

تحدثنا في خاطرة سابقة عن المعنى الحقيقي والتجسيد الأصح ل "وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، هذه العبادة كما جاء سابقا ليست محصورة في فرائض معينة، بل يمكننا جعل حياتنا كلها حياة عبادة. في هذه الخاطرة سنحاول بحول الله تعالى الإحاطة بما ختمنا به سابقا وهو الموهبة...

يقال أن الموهبين قلائل وهذا خطأ، لأن الله تعالى جعل في كل إنسان موهبة وشيئا يتفوق فيه عن غيره، ربما يكون شيئا واضحا وربما يكون شيئا يحتاج لتنقيب وبحث في خبايا النفس، المهم هو أن العقل البشري (المنظومة الأكثر تعقيدا في الكون) يعمل والموهبة كائنة وجب تسخيرها وتطويرها والكد من أجل جعلها ترقى لمرتبة الاصلاح في الارض والبناء تحقيقا للعبادة الربانية وخدمة لمخلوقات الله تعالى (وكما نقول خادم الناس سيدهم، فمن جعل من وقته وموهبته سببا لإسعاد الناس أو مساعدتهم أو تنفيس كرباتهم ابتغاء لوجه الله تعالى طبعا وليس رغبة في دنيا زائلة أو سمعة ذائبة يكون فعلا حقق شيئا من الارادة الربانية).

وعند تحسين هذه الموهبة آنذاك يبدأ الانطلاق من أجل الابداع حسب دائرة التأثير التي تختلف من شخص لشخص، لكن في أغلب الحالات تكون دائرة التأثير هي المدرسة أو الكلية والعائلة والمسجد والفيس بوك والمرافق العمومية... وجب استغلال كل هذه الاماكن وكل الوقت التي نقضيه فيها من أجل ابراز هذه المواهب بالقدر المسموح به منطقيا طبعا مع إحاطتها بالأخلاق وتأطيرها بالقرآن حتى تكون فعاليتها حقيقية بإذن الله تعالى.

وكم هو المشهد جميل حينما تقف بين يدي الله تعالى وتخبره أنك طورت مواهبك وعملت على جعلها في طاعته وابتغاء لوجهه تعالى بعيدا عن كل رياء

في الأخير أنبه إلى أن المواهب لا أقصد بها الغناء والرقص وغيرها من المواهب التي تم تدنيسها وخلطها بفكر فاسد ساذج، وإنما الموهبة هي كل ميزة كيفما كانت ميز الله تعالى بها فردا عن غيره، وكم من موهبة لا يعي صاحبها أنها موهبته فتدفن في داخله لحظة بعد لحظة... كما أن الموهبة ليست لها سن فربما يظن المرء أن قطار الحياة قد فاته لكن الله تعالى دائما ينتظر منا الاحسان في أي وقت، غير أن المسألة تكون أروع حين تبدأ في سن صغيرة برعاية مباشرة من الاباء حرصا على إخراج كل ما بداخل أبنائهم، فيكون العطاء والنجاح أكثر فعالية بإذن الله تعالى.

اقرأ بسم ربك الذي خلق

أول آية نزلت على الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم والتي يعرفها الجميع طبعا (اقرأ بسم ربك الذي خلق). هل فعلا نحن نقرأ باسم ربنا؟ هل نعي أن القراءة تكون حتى في مخلوقات الله من خلال التأمل والتفكر؟ وهذا من أعظم تجسيدات الآية فعلا. هذه الآية العظيمة هي أول ما جمع أهل السماء والأرض وأول ما تحدث به أهل السماء إلى أهل الأرض، وأول همسة سماوية للأرض كانت مهدا لأقوى حضارة مرت بالارض منذ أن خلقها الله تعالى، فهل نقدرها حسن التقدير؟؟

سبق وأن تحدثنا عن مبادئ الحياة وعن كيفية ربط حياتنا بجميع مناحيها بالله تعالى وأن نتاجر مع الله (التجارة الرابحة) رغم أننا نتاجر مع الله بما هو له أصلا، فكم أنت كريم وعظيم يا رب؛ والأساس لهذه التجارة وهذا العمل من أجل الله تعالى هو أن نقرأ باسم ربنا، هذه القراءة إما في شكلها المشهور المألوف وهو قراءة المكتوب فنعمر عقولنا حتى نعمر أرض ربنا، وإما قراءة المرئي من خلال قراءة جمال الله وكماله ونواله في كل مخلوقاته الرائعة والمعجزة. ولنا قدوة في الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يعتكف في الغار فيجعل لعقله مساحات عظيمة للتفكر والبحث والقراءة في الدواخل حتى أتم الله له الحق وأنار له الطريق الأصح لهذه القراءة وأراه شكلها الناجح الناجع، فصار عليه السلام تلميذا لكل موقف في حياته، يبحث عن الماهية وعن رضا الله تعالى في كل لحظة، مما زاده تربية وحكمة ورقيا وأعلاه قدرا...

ربما نحن اليوم تجاهلا كلتا القراءتين، لم يعد لكل منهما نصيبا في أوقاتنا، فضعنا تمام الضياع وجهلنا الطريق المستقيم الرائع الذي يوصل لأحلي حياتين: حياة الدنيا وحياة الاخرة، حياتين فاز بهما قليلون عبر التاريخ... أناس استعملوا حواسهم بذكاء فقرؤوا بأعينهم وبأسماعهم وحواسهم ثم أدخلوا ما قرؤوه إلى كنز المحركات وأقواها، محرك كان أعظم هبة وهدية من الله لنا هو عقلنا، فقرأ بين سطور ما قرأته الحواس وحلل وناقش في دواخله ثم اجتهد وفهم فطور روحه ونفسه وذاته فتطور العالم كله من حوله...

كفانا ملأً للبطون وهيا بنا نملأ العقول والقلوب حبا وعلما وتفقها ورقيا وسموا، فبنور العلوم نحب ربنا ونعرف خالقنا ونعشق رسولنا وننج في دنيانا، ونجعل الجنة مستقرنا ودارنا.

أفلا أكون عبدا شكورا؟

كان عليه الصلاة والسلام يقوم الليل كثيرا، حتى أن قدماه كانتا تتورمان تورما وكان ينهك إنهاكا فتسأله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحب وعطف على صحته علّه يريح حاله، خاصة وأن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان يجيب الحبيب: "أفلا أكون عبدا شكورا !!".

هل من المعقول أن ينهك شخص نفسه ويتعبها وتتورم قدماه حتى أنه لا يقوى على الوقوف، مع العلم أن هذا الشخص مغفور كل ذنبه الماضي والآتي إلا من أجل سعادة يجدها وحلاوة يتذوقها من فعله هذا !! يا لها من فلسفة رائعة ومن منطق متناسق لا يترك فسحة لكل مترصد حتى يفتح فمه ولو بكلمة واحدة، هو الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم الذي عرف الله عز وجل حق المعرفة وذاق حلاوة القرب منه والتنعم في ملكوته وحسن الشكر والعبادة من أجل حمد المنعم على كل نعمه،... أجل إنها لم تكن عبادة خوف من العذاب بل كانت عبادة عشق وعبادة حب، عبادة يشكر بها الرزاق على عطائه ويرد له ولو القليل مما أعطاه إياه، والله عز وجل يحب من عبده وحبيبه أدوم الاعمال وإن كانت قليلة طالما أنها تحمل حبا عظيما، فالله غني عنا وغني عما نبذله، لكن تبقى رمزية ما نقدمه له سبحانه وتعالى فيقبله منا ويطوره وينميه عنده حيث لا نعلم نحن حتى يفاجئنا به يوم نلقاه، آنذاك تكون ساعة الإعتراف والصراحة المباشرة لكل ما يكنه كل طرف من الطرفين للآخر (الله والعبد) من الحب، فيقدم العبد جميل أعماله وصالحها بحب، ويتجاوز الله تعالى عن السيء منها بحب، بل ويحفه برضاه ورحمته وجميل عطفه سبحانه، ومااااا أعطفه...

اليوم نحن نعيش في نعمة كبيرة جدا، نعمة قُتِل من أجلها الكثيرون وعذب آخرون، أما نحن فجاءنا الإسلام سهلا ولم يكلفنا شيئا فضيعناه بسهولة أكبر أيضا... وحينما ضيعنا الاسلام ضيعنا معه سعادة كبيرة وفرحا دائما وبركة ورفاهية كبيرة.

الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم كان يعيش بروح في جسد، كانت روحه الطاهرة هي المحرك والمسير لجسده فلم يشعر بألم ولا بجرح لأن روحه راقية بين النجوم فلم تستشعر شيئا من السقم، أما نحن اليوم فقد اختلط علينا الامر وأصبحنا نبلي لأجسادنا رغباتها ونسينا أن الروح هي من ترقى وتعلو وليس الجسد... أصبحنا عشاقا للماريا وروادا أوفياء لغرف عمليات التجميل حتى نتفاخر فيما بيننا بجمال العيون والعضلات المفتولة، أما النساء فحدث ولا حرج، أصبحن اليوم نسخا لبعضهن، وكرهن الشيب والسن الكبيرة، جاهلات أن ذلك من الحكمة ورزانة العقل (لا أقصد جميع النساء طبعا). للأسف أرواحنا جميعا مفتونة ومريضة منذ أن اختلطت عليها المفاهيم وتكالبت علينا الافكار والثقافات الدخيلة بدعوى العولمة والتحرر...

أفلا نكون عبادا شكورين؟؟

العقل، معقل الإبداع والتقدم

كثيرة هي مخلوقات الله تعالى ولكن الأجمل هو أن نكون نحن بني البشر أفضل هذه المخلوقات وأرقاها وأقربها إلى الله تعالى، هذا التميز يمكن الجزم أن سببه يعود إلى نعمة عظيمة جدا وهي "العقل"، العقل الذي يعتبر معقلا لكل فكرة ولكل نبض حياة و تأطير لكل ما ينتجه القلب،...

نرى اليوم حضارات تقود العالم، ونرى حضارات أخرى تقبع بين دروب التخلف والرجعية، والسبب المباشر يكمن في المنظومة المعقدة: العقل. إذا قلنا أن الدول الغربية وحتى الشرقية تعيش حياة كريمة فهذا جاء من عقل وفكر تخيل هذه الحياة الكريمة وبناها في داخله ووفر لها داخل العقول نظما وأعرافا وتخطيطات تحققها على أرض الواقع،... ترى الأسر تربي عقول أطفالها على النظم والأمانة والصدق والوفاء و... وعندما ينتقل هؤلاء الأطفال إلى المدارس يجدون امتدادات أكبر لكل ما عاشوه وسط عائلاتهم مع توسيع أكبر للأفكار، فتكبر مساحات التأثر والتأثير ويتحولون من مجرد متلقين إلى منتجي أفكار وإبداعات جديدة تساهم بشكل جزئي داخل المنظومة الكلية في تطوير البلاد، وبالتالي الإنتقال إلى مصاف الدول المتقدمة... وكما قال أحد الرؤساء الكوريين الجنوبيين: ربما نحن لا نملك ثروات طبيعية كالبترول أو الفوسفاط... ولكن نملك ثروة أعظم هي العقل.

بالرجوع إلى الدول القابعة في التخلف (لا أقصد دولة بعينها ولكن أتحدث عن الظاهرة) نجد العقل بالأساس هو من يعاني من التخلف، لأن الفساد قبل أن يكون رشوة أو سرقة أو... هو عبارة عن فساد عقلي وفكري تتم من خلاله إعادة توجيه العقل إلى غير ما خلقه الله تعالى (الفطرة)،... ترى القمامات في كل مكان مما يعني أن العقل مليء بالقمامات الفكرية ومتى رأينا الشوارع نظيفة علمنا أن العقول أصبحت نظيفة إن شاء الله تعالى. ترى الغش وخيانة الأمانة وغياب الإحسان وانعدام الإبداع، وهذا ما يبني عمارات الغش داخل العقول وبنايات الخيانة داخل القلوب، ويوما بعد يوم تصبح هذه البنايات والعمارات مدنا ودولا لا نقول يستحيل هدمها ولكن يصعب كثيرا اقتلاع جذورها وتخليص العقول الفتية القادمة من سوء مضارها...

نحن مسلمون، ونحن أولى أن نكون رقم واحد في العالم، لأن الدول الرائدة ربما تعرف كيفية استخدام العقل، لكننا نحن نعرف ذلك بالإضافة إلى أننا نعرف من خلق هذا العقل ولماذا ميزنا به وما الماهية من وجوده... زيادة على تميزنا بوجود أذكى قدوة لنا عبر التاريخ والذي جعله الله لنا نبراسا ينير دروب ظلماتنا العقلية ويفتح لها آفاق واعدة نحو نور عظيم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

يقول الله تعالى في كتابه: "وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم"، آية نمر عليها مع كل ختمة مباركة لكن قليلون ممن يجعلون لتدبر القرآن نصيبا فيعملون عقلهم فيها ويحللونها،... ولهذا سنجعل من هذه الخاطرة مجالا للخوض في بعض معالمها على قدر فهمنا وحدود إدراكنا...

الآية شاملة وحاملة، فهي تشمل كل أمور حياتنا بجيثياتها البسيطة من كلامنا الذي لا نلقي له بالا وأفعالنا التي تكون خارجة عن منطق عقلنا، وتحمل بين طياتها خطرا ووعيدا عظيما جدا، لأن الله تعالى أعطانا الحواس والحريات ولكن جعل لنا الأداة المؤطرة: العقل، والدستور المقنن: القرآن والسنة، وأيما تحقير منا لكلام أو فعل نؤذي به غيرنا أو نضر به نفسنا بشكل أو آخر يمكن أن يكون هينا في أعيننا نحن ولا نلقي له بالا، ولكن هو عند الله عظيم جدا...

وحتى نكون أكثر واقعية يمكن أن نضرب أمثلة كالحديث عن أحدهم بلغة مستهزئة أو فضة سواء في حضوره أو في غيابه مما يمكن أن يشحن قلبه ويؤثر ذلك على سير حياته فيتغير تعامله مع أسرته ومع كل أناسه ويذهب كل وزر عمل يقوم به هذا الشخص إلى ميزان الشخص المستهزئ. ويمكن الحديث أيضا عن الكذب الذي وللأسف أصبح له اليوم ألوان، وأصبح له يوما عالميا، وكم من كذبة بسيطة جدا في عين صاحبها أدت إلى مطاحنات ومشاحنات عظيمة لا يعلم أنه هو السبب فيها وكم من الكذب فرق عائلات وضيّع أطفالا...

ونميل إلى حواء قليلا، وكمثال، لباسها الذي يبدو بعض الاحيان في أعين صاحبته جيدا ولكن في واقع الحال ربما يكون مثيرا ويجر عليها ويلات وعذاب شباب كثيرين لا تدري شيئا عن حالهم، لكن يعلم الله بدواخلهم وما يجري في قلوبهم من احتراق، قليل جدا من يحتمل فيكتم في قلبه ويدعو ربه، لكن كثيرا من الشباب تغلبهم نفوسهم وتجرهم إلى كثيرا من سوء الأفعال...

ربما سيقول البعض أن نياتنا صافية والأعمال بالنيات... لكن كما جاء في البداية فالله ميزنا عن غيرنا بالعقل حتى نميز الخبيث من الطيب وحتى نفكر ببعد نظر وندرس كلامنا وأفعالنا وعواقبها على المستوى القريب والبعيد حتى لا نتفاجأ يوم القيامة بجبال من السيئات تملؤ موازيننا ونحن لا ندري لها منطقا ولا سببا فيكون السبب هو فعل أو قول نسميه "غير مقصود" لكن في خبايا الامور يكون فعلا أو قولا بتفكير غائب فتكون العواقب بغير ما نشاء ولا يشاء حبيبنا ربنا الذي ما ينهانا إلا عما سيضرنا وهذا هو حال الحبيب المحب سبحانه.

عادي...

من بين الكلمات التي شاعت في زماننا اليوم والتي تحمل معنى شاع في كل الأزمان، كلمة انتشرت بيننا فأحرقت صروح التقدم وصلاح الفكر، هي: "عادي"... نتحجج على سوء أعمالنا وفشلنا بهذه الكلمة البئسية والتي كان يقول من سبقونا فيما يقابلها: "إنا وجدنا آباءنا على هذا والكل يفعل ذلك"، أصبحنا اليوم نحيا بهذا المعنى في شكليه القديم والحديث،...

الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم بُعث من أجل كسر النمطية و"العادي" الذي كانت تعيش فيه العرب، فغير كل شيء بداية من الفكر وحتى التعاملات وصولا إلى تدمير الآلهة التي كانت أكبر تجسيدات الكوارث الفكرية عبر التاريخ...

ربما نحن اليوم لا نعيش في زمن الآلهة المادية المنتصبة في الساحات والمعلقة في البيوت، لكن اليوم لدينا آلهة من نوع جديد وفي أثواب جديدة،... عندما تجدنا مثلا نقعد أمام الفيس بوك بالساعات الطوال ويرتفع صوت الآذان بنداء الرحمن سبحانه فلا نلبي ونستمر على الفيس بوك هنا نضع الله والفيس بوك في كفتي الميزان ثم نرجح كفة الفيس بوك، بما معناه أن الفيس بوك أولى من الله، وحينما يُسأل الشاب منا عن فعله يقول: عادي، الكل يفعل ذلك وأنا سأصلي مباشرة بعد انتهائي.

تسأل الشابة عن عدم لبسها للحجاب رغم أنه فرض وأن الله تعالى يحب أن يرى أَمَتَه حبيبته التي خلقها بيده وكرمها ورزقها نعمة الجمال ترتدي حجابا يحميها ويحفظها فتجيب: عادي، أغلب الشابات لا يرتدين الحجاب والشابة المحجبة تنقص قيمتها بتلك الطرحة الكئيبة ولا يهتم لها أحد (لن أُفَصِّل اليوم في موضوع الحجاب لأنه سيكون له نصيب أكبر فيما بعد إن شاء الله). هنا أيضا يوضع الله تعالى في كفة ورغبة الشابة والموضة في كفة مقابلة، ثم يتم تقديم كفة الهوى والموضة على كفة الله تعالى وبالتالي تقديم كل ما هو مادي على كل ما هو روحي تهذيبي.

هذان مثالان شائعين ويمكن قياس كل أمور الحياة عليهما...

هل من العادي أن نجعل الله خيارا من الخيارات وفي أغلب الحالات يكون الخيار الثاني أو حتى الثالث...؟ هل من العادي أن نعرف مصلحتنا أكثر ممن خَلقنا ويعرف صالحنا؟ هل من العادي أن نجعل لنا من دون الله آلهة تتحكم فينا وتجعلنا عبادا لها بالروح وماهي إلا نِعَم وتسخيرات تكرم الله تعالى بها علينا...؟ وقد تحدثنا قبلا عن مكانة الانسان في ملكوت الله تعالى، والأبله هو من يحصر نفسه في زاوية ضيقة يؤَلِّه فيها "خزعبيلة" من خزعبلات الدنيا عليه وهو العزيز الذي أعزه الله تعالى وجعله حبيبه فسخر له الكون كله... كفانا من "عادي" وهيا نكسر أسوار قوقعتها.

الطبيعة، حب فطري

كل البشر بدون استثناء يعشقون الجلوس في الطبيعة والاستمتاع بروعتها، أشجار هناك وحشيش أخضر. هنا وخرير مياه يسحب العقل برقة نحو راحة تطربها زقزقة عصافير تحت سماء زرقاء... وكثيرون من يعشقون افتراش الأرض في الليل تحت سماء صافية يستمتعون برؤية النجوم المتناثرة في السماء ويسبحون بينها في شاعرية ورومانسية كبيرتين...

ما السر وراء هذا العشق وهذا الحب الذي يجمع عليه كل البشر؟ الجواب سهل جدا ويكمن في مبدع وصانع هذه الروعة سبحانه وتعالى، هو من جعل هذا النسق الرائع ولأن اللمسة البشرية، التي غالبا ما تحيد عن الفطرة، لا توجد في الفضاءات الطبيعية ترى الكل يعشقها ويجمع على حبها،...

أجل إنها النفس البشرية التواقة إلى ما هو فطري، ولأن الله تعالى هو من خلق الطبيعة التي نحبها فهو أيضا من خلقنا وأنزل لنا كلامه لكي يؤطر حياتنا ويوجهها التوجيه الحسن،... ونجد الحكمة والوعي النبوي الفلسفي العظيم الذي كان ينهى خلال الحروب عن القطع والحرق والتدمير لأنه صلى الله عليه وآله وسلم عرف الخالق في كل شيء، عرف الله تعالى في الشجر والحجر والقرآن وكل المخلوقات صغيرها وكبيرها،... ولأن سبحانه هو خالق كل شيء، فكما نحب أن نستمتع في حضن جميل مخلوقاته الملموسة كيف نحرم أنفسنا من الإستمتاع في حضن مخلوقاته العقلية الباطنية ونسبح في سماء العلم والمعرفة والفكر والتفكر ونصنع الروابط المتكاملة بين باطن العقل وظاهر الكون ونعمر العالمين معا، عالم الفكر وعالم الحس،...

اليوم بعدما ابتعدنا عن الفطرة وطريق الرشاد التي خُلقنا عليها ترانا اليوم بعقول لا تفكر سوى في النزوات الذاتية التي تعدت حتى نزوات الحيوانات فندمر ما خلق الله وجمَّل ونقطع ونحرق ونكسر ونلوث... ولا لوم ولا حساب ولا ضمير يتابع ويحاسب، مات القلب وجُمّد الضمير وعُطّل العقل الواعي... ترى الانسان يدمر حتى الأمكنة التي تربى فيها واستمتع فيها وبها ذات يوم مع غياب تام لشيء اسمه قلب ومشاعر.

أوليس ما نعيش فيه اليوم يعد ابتعادا عن السعادة (في الدنيا قبل الآخرة)، عالم من الذاتية والأنانية التي تقتل وتدمر كل شيء اعترض طريقها حتى الرغبات الربانية التي ما هي إلا مواقف سعادة بالنسبة لنا وما عاش من قبلنا السعادة إلا عندما وعوا هذا الأمر العظيم فعاشوا الرقي والكرامة وجميل الأخلاق...

وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم 2

تحدثنا سابقا عن الآية العظيمة "وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم"، تحدثنا عن الجانب المخيف المهول من الآية وكيف يمكن لأشياء نحسبها هينة وصغيرة توابعها تكون عظيمة ومهلكة.

اللحظة سنرى الآية إن شاء الله من زاوية آخرى، يقول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" لو حللنا الحديث النبوي قليلا وربطناه بآية موضوعنا لوجدنا أن النار بعظمتها وخطورتها يمكننا النجاة منها بنصف تمرة صغيرة لا تساوي في أعين الكثيرين شيئا (أتحدث عن المسلم)، ثم يمكننا إدراج قصة المرأة البغي الزانية التي سقت الكلب فأدخلها الله تعالى الجنة، نحن اليوم نرى العطشى من البشر فلا يحن قلبنا لبني جلدتنا، والأولى بالمنطق أن يدخلنا الله تعالى الجنة إن شاء وأراد إذا سقينا بشرا عطشانا أو أطعمنا بطنا بشريا جائعا،...

ومن سوء المفارقات في هذا الزمن أن أغنى سكان أهل الارض اليوم هم من "المسلمين"، وأفقر الشعوب أيضا هم من المسلمين !!

يقول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئا"، ومن كان يظن أن شابا أميا فقيرا في بطن الصحراء منذ أكثر من 1400 سنة سيكون هو الإنسان المحير للمستشرقين والمستغربين وقدوة عند العقلاء ونبراسا عند الضعفاء...

لا تحقرن من عملك ومن أفكارك ومن أحلامك شيئا، ثق في نفسك وارم حملك على خالقك سبحانه وأحسن ظنك به، ربما أفكارك لن تر النور اليوم أو السنة المقبلة أو حتى طوال عمرك لكن عند الله هي عظيمة ويوما ما يمكن أن تصنع ثقافات وحضارات ويصلك أجرها وأنت في قبرك لا تدري عنها شيئا...

تذكر أنك مهما قيمت أعمالك أو خططت يبقى الكمال لله تعالى وهو يطلع على القلوب ويعرف مستقر الخير في أعمال أحبابه وعباده وخلقه، فلا تحسب أي عمل من أعمالك هينا، افعل ولا تردد واحتسب عند ربك وستُفاجأ يوم القيامة بجبال عظام ربما سببها ابتسامة في وجه قانط أو درهم صدقة في يوم فرج لا تتذكره أو مساعدة ضرير على عبور الطريق أو مراجعة الدروس مع طفل ربما يصير عالما من علماء العالم يروح كثير من أجره إلى ميزان حسناتك...

لا يفصل المرء عن فضلي الدنيا والآخرة سوى أن يرى الله تعالى في كل أعماله ويبحث عنه في آلائه...

نحلم، نجتهد، ربما يتحقق...

لنا رغبات وأهداف وأحلام كثيرة وكل منا يخطط ويبني ويعمل مع فرق طبيعي في السرعات بحسب حجم هذه المبتغيات والإرادة والحماس،...

كثيرون هم من لا يوفقون في إتمام طريق سعيهم بالرغم من نبل أهدافهم وحسن فعلهم وتخطيطهم، لأنهم اتبعوا مشيئتهم، وكما هو معلوم فنحن نشاء والناس تشاء والله ربنا يفعل ما يشاء...

كثيرون من يظنون في قرارات أنفسهم أن الله تعالى قد يكون ظلمهم حين أوقف مخططاتهم وأحلامهم، ولكن هل من عادل أكثر عدلا من الله تعالى؟ وهل هناك محب يحب حبيبه أكثر من حب الله تعالى لعبده القريب منه؟

لاشك في أن المرء يكد ويجتهد ويحسبها بالميليمتر، ولكن هل كل هذه الحسابات ستخفى على الله تعالى؟ وهل ستكون حساباتنا نحن البشر الضعاف أكثر عمقا ودقة ممن خلقنا وقدر لنا أقواتنا بعدل ورحمة عظيمين؟

الكون عبارة عن معادلات وحسابات تخدم في سبيل إحداث التوازن في جميع نقاط الكون، وربما السعي الطيب لا يتوافق مع التوازن الكوني رغم كل الحسابات، لذلك يتم إلغاء هذا السعي، هذا لا يعني مسحه بالكلية ونسفه، بل يحتفظ الله تعالى به، فإما يؤجله لموعد آخر، وإما يحتفظ به لصحابه حتى يرجعه له فضلا وخيرا يوم القيامة، ولا يجب أن ننسى أنّ الدنيا هي دار ماديات وروحيات، والأولى هو أن نفوز بثبات وطمأنينة الروح قبل الفوز بكل ما هو مادي...

لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وهو يحضر لنا كل الخير في ما يخفى عنا،... ربما يتبادر إلى بعض الأذهان مسألة الغيب وكيف أنه لا يمكننا الإستفادة من معرفة مستقبلنا؛ سأعطيك مثالا بسيطا جدا ولله المثل الأعلى، لو جلست لمشاهدة فيلم قد شاهدته من قبل وتعرف أحداثه، هل ستكون مرتاحا وأنت تشعر بأنك مرغم على عيش أحداث روتنية؟... لكن عندما تشاهد فيلما للمرة الأولى تكون مشتاقا لمتابعة أحداثه وتشاهده بلهفة لرؤية قادم الأحداث وتطوراتها؛ كذلك حياتك ولله المثل الأعلى، أنت في فيلم بطله أنت ومخرجه الله سبحانه وتعالى، فعش البطولة في حياتك واصْغِ دائما لتعليماتك من المخرج الأعظم سبحانه وتعالى ولله سبحانه وتعالى حبيبي المثل الأعلى.

قدر جيدا قيمة حياتك واعمل في حماية ورعاية الحق الودود سبحانه، مما يعني أن كل سوء في عينيك هو خير عظيم لك ستفهم معناه يوما ما إن شاء الله فلا تبتئس به، بل ارفع شعار "الحمد لله" عاليا، لا بالقول فقط بل بالمعنى وبالفلسفة العظيمة، روحا وعقلا وجسدا، وانطلق ثانيا في الحياة ولا تبرح باب الله تعالى لأنه سبحانه لا يرد من طرق بابه بل يكرم وارده تمام الكرم حتى يرضى ويتعدى...

الحب، ألم وأمل

الحب بين الجنسين أصبح في أعين الكثيرين مشكلا، وفي أعين البعض حراما، وفي أعين البعض الآخر عيبا

وكل شخص بغض النظر عن توجهه وانتمائه غالبا ما يسقط في تعميم رؤيته على جميع الحالات... لكن ما الصحيح، وما الذي يجب اعتقاده واعتماده خاصة بين الشباب (أقوى صروح المجتمع)؟

أولا يجب الحسم في أن الحب ليس اختيارا، لأن القلوب بين يدي خالقها سبحانه، وحب انسان لإنسان آخر لا دخل لبشر فيه إلا أن يشاء الله

لكن ما يمكن اعتباره المشكل الحقيقي أو العيب أو الحرام هو كيفية تعامل هذا الانسان مع الحب؟ (ونتحدث خصوصا عن الشباب)... لا يجب أن ننسى عوامل كثيرة تساهم في الخروج عن سكة الصواب، منها الشيطان بإغوائه والهوى بسحره والدنيا بقساوتها وغلاء العيش فيها، فترى الخلوات بين المحبين والإنعزالات والتجاوزات وربما يصل الأمر إلى ما هو أكبر وأخطر...

ليس هناك أكثر من حلين لتجنب الوقوع في فخاخ ما بعد الحب، إما البحث عن الحلال وطريقه (وهذا ما يعد صعبا جدا في هذا الزمن، لدرجة الاستحالة عند البعض) والحل الثاني هو الصيام كما جاء في حديث الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم

ربما الدنيا بجميع ما تحمله قاسية ولكن ربنا وربها رحمن رحيم ولا يرد طارق بابه، وراغب عفوه وحماه، إذ يمكن في هذه الحالة وفي جميع الحالات الاستنجاد به وطلب دعمه وتوفيقه من أجل تسهيل أمر الحلال فيما بعد الحب.

شيء آخر مهم جدا، هو أسر وأهالي الشابات الذي يطلبون في كثير من الحالات طلبات تعجيزية للشاب طارق الباب، ليس عيبا أن يطمئن الأهل على حال ابنتهم وراحتها بعد زواجها، ولكن لا يجب أن الامر يصل إلى الملايين وعشراتها في المهر والمنزل الفاخر والسيارة الفخمة وغيرها مما يكدّر العيش ويعرقل سير الحلال بيننا.

وكم كان الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حريصا على تزويج المحبين، فقد جاء في الأثر أن رجلا جاء لاستشارته عليه الصلاة والسلام في أمر تزويج ابنته التي جاءها شابين، أحدهما غني والآخر تحبه ويحبها فدعا الرجل لتزويج ابنته بمن تحب حتى يُخلق مجتمع أساسه الحب الحلال وينتج أبناء يعيشون في جو من السعادة بين الوالدين...

المرأة بين العدل والمساواة

في الآونة الأخيرة كثر الحديث حول العدل والمساواة، خاصة النساء اليوم أصبحن يطالبن بالمساواة بالرجل في كل أمور حياته...

والله عز وجل لم يخلقنا بمبدأ المساواة بل خلقنا بمبدأ العدل...

ما الفرق بين العدل والمساواة إذن؟؟ ولماذا فضل الله تعالى العدل على المساواة؟

المساواة كما تدل عليه الكلمة هو التساوي والتعادل في الشيء نفسه، من حيث الحقوق والواجبات، وإذا حاولنا التمعن في المساواة كمطلب نسائي، كيف يمكن للمرأة ن تأخذ مكان الرجل في القيادة والتسيير وهو يتخلف في الوراء؟ كيف يمكن للمرأة أن تسوق شاحنة أو حافلة ضخمة؟ كيف يمكن للمرأة أن تكون شرطية وتعاشر كبار المجرمين وتسمع لسوء كلامهم وتتبارز معهم... هل هذه هي المساواة التي تطالب بها المرأة؟ مساواة بالرجل تفقدها حنانها وأنوثتها وسط وحشية كبيرة في الشارع، مساواة تجعل الزوجان يغادران البيت من أجل العمل تاركين خلفهم أبناء شبه مشردين لا يجدون أحدا يربيهم بحنان وعطف أبويين...

أما العدل فهو القسمة بالحق بحسب الظروف والبنية والقوام، فما يناسب الرجل من حقوق وواجبات فهو له وما يناسب المرأة هو لها... والله تعالى خلقنا بعدل وجعل المرأة شقيقة الرجل وليست سويته، شقيقته أي مكملته، إذا كان يعمل في الخارج هي تعمل في الداخل من أجل بناء بيت قوي وعائلة متينة وأبناء صالحين مصلحين، محافظة بذلك على كل قوتها العاطفية وأنوثتها وجمالها وفطرتها التي خلقها الله تعالى عليها... والمرأة خلقها الله تعالى كنصف للمجتمع وصانعة للنصف الآخر، تصنعه بالولادة ثم بالتربية، وبذاك يكون الله تعالى جعل المرأة هي أصل المجتمع ككل وليست نصف المجتمع كما يدعي أصحاب المساواة؛

هذا خلق الله وهذه هي إرادته لنا، وطالما أردنا أن نجعل لأنفسنا أشياء لم يُرِد الله بها لنا فنحن بذلك نبتعد عن سكة الخلق وسكة الرغبة الربانية التي يسير بها الكون كله... وفي هذا الحالة يكون الحل هو الخروج من ملكوت الله والذهاب إلى ملكوت آخر (غير موجود) وتطبيق هذه الخزعبلات فيه

تحدي الله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح شيئا مشروعا اليوم في زمن الحريات، ولكن هل الله يُتَحدّى؟

صلاة الجمعة

آثرت على نفسي أن أتحدث في هذه الفسحة الكلامية البسيطة عن موضوع يعني كل مسلم وهو صلاة الجمعة..

حسبما قرأت في بعض كتب السير والتاريخ لاحظت أن منهجية أداء خطبة وصلاة الجمعة لم تتغير، بالرغم من أن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم مثلا استعمل خشبة كدرج يصعد عليه من أجل أن يراه الناس ويسمعوه، أما اليوم فلا تجديد من أجل استفادة أكبر.

صلاة الجمعة تعتبر عند كثير من الناس الفسحة العلمية الوحيدة الأسبوعية التي يستفيدون منها ويحضرونها من أجل تجديد إيمانهم، ويُلحظ أن هذه الخطب في الغالب تكون روتينية مملة ينام التعبون أثناءها، فربما يدرك الناس أجر صلاة الجمعة لكن في الغالب لا يدركون الغاية المرجوة منها.

اجتهد كثير من الخطباء من اجل تجديد المواضيع ومسايرة هموم الساكنة القريبة من المسجد والإقتراب من نقاط ضعفهم الإيمانية وبعض سوء فهمهم وإشباع الكثير من رغباتهم العلمية، لكن يبقى ذلك جد محدود وقليل الفعالية.

فكّر مجموعة من العلماء في كيفية إحياء خطبة الجمعة واستغلالها بشكل أكثر من أجل بلوغ القليل من مقصدها، خاصة من جانب الشكل حتى تكون الخطبة مسايرة لحياتنا اليومية فأفتوا بجواز استعمال أجهزة تكنولوجية أثناء الخطبة مثل الحواسيب وأجهزة التلفاز وجُرّبت في عدد من المساجد فلاقت استحسانا كبيرا من المصلين وأعجبوا بالفكرة ونادوا بتعميمها وتطويرها أكثر...

وأنا شخصيا شاهدت خطبة حول مخاطر حوادث السير استعملت خلالها مقاطع فيديو وصور أطّرتها كلمات الخطيب فكانت جد مؤثرة في عموم الحضور حتى الأطفال، ولربما لو كان العمل بهذه الطريقة الحديثة بشكل أسبوعي كل يوم جمعة لكان التغيير أوضح وأكبر...

ديننا يسر ومعرفة الله لا تهم وسيلتها المشروعة بقدر ما تهم غايتها، ولكل مقام مقال،... اليوم نعيش في زمن السرعة والمعلومة والرقميات وكيف لنا أن لا نستغل هذه الأشياء خاصة وأنها لا تتعارض مع فطرتنا وأمور ديننا... وربما كان أحرى بنا تطوير هذه المنتجات بما يتناسب مع احتياجاتنا ونقائصنا من أجل حياة كريمة رضاها ربنا تعالى لنا...

ملل وضجر... ونور

في أحايين كثيرة يشعر الإنسان بالملل والضجر لأسباب تختلف، وربما يقف قلم الكاتب عن الكتابة كما هو حالي في هذه اللحظة،... أشعر بعقل ممتلئ بالأفكار ولكنها لا تتآلف في إطار واحد يجمعها...

ربما الدواء الناجع في مثل هذه الحالات هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، من خلال التوضأ والصلاة حتى نجدد الروح ونكسر الخمول والجمود الحاصل، خاصة وأن الله نور والنور طاقة وأينما حلت الطاقة فتم حركية وإبداع وإنتاج، أما الخمول والكسل والجمود فهي من سمات الشيطان...

ربما حال المسلمين جامد ومكانهم ثابت،... ثابت لأنهم غير مبدعين وغير منتجين، لم يعتبروا ويتفكروا في إسم الله تعالى "النور"، النور الذي يجب أن يكونوا عليه ومن أهله، ويكونوا هم النور الذي يسابق النجوم في التلألئ، يكونوا هم النور لغير المسلمين فيعلموهم ويفهموهم مصدر النور وكيفية كسب بعضه والعيش به...

فقدنا النور وتُهنا عن مكانه، رغم أنه بين أعيننا، فنحن اليوم نعيش في ظلام حالك، ما يجعلنا لا نستطيع رؤية نور الله الذي أشرقت له الظلمات فنهتدي به إليه ونبني صروحا تقربنا منه وتوصلنا إليه قبل فوات الأوان.

جاء في القرآن: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" أي أن أصل العلوم ومشكاتها هو معرفة الله سبحانه وتعالى.. وجاء في سورة النور "الله نور السماوات والآرض" أي أن العلم بالنور نور ينير القلوب والصدور وطالما نحن في رحاب الله فنحن في نور عارم يحتضننا ويروي ظمأنا الظلامي بِشَرْبة نورانية ربانية

حتى في قيام اليل لمن يقومه، ينير على الأرض نجما تستعجب لرونقه نجوم السماء خاصة وأن الله تعالى قريب في السماء الأولى يقترب من القائم الداعي ويعيش معه تلك اللحظات النورانية، فيُكَسّر بذلك نور الظلام العاتم بنور عبد اقتبسه من نور السماوات والأرض سبحانه...

وربما نتذكر هنا الدعاء الذي يقول: اللهم اجعل في قلبي نورا، ،وفي بصري نورا، وعن يميني نورا وعن يساري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، ومن أمامي نورا، ومن خلفي نورا...

ويمكن الختم بشيء جميل جدا ألحظه كثيرا على أهل الله تعالى وخاصته،.. التبسم من شيمهم التي ورثوها عن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، هذا التبسم يزيد الوجه إشراقا وبهاء ويشرق الوجه به نورا باهيا... هذه الإشراقة النورانية تنم عن راحة نفسية كبيرة وطمأنينة تغشى قلب صاحبها، وتجعل في نفس من يراها سكينة تتبعها ابتسامة عفوية ربما تنجلي بعدها سحب القلق والغضب... فلنكن من أهل الله ونبتسم.

الإصلاح

كنت في لقاء مع بعض الأصدقاء نتناقش ونتحدث أمر العمل التطوعي والعمل الخيري البناء والإصلاح في المجتمع، فاعترض أحد الحاضرين على ذكر لفظ الإصلاح قائلا أن الإصلاح يتطلب أناسا صالحين وإلا فالأمر ليس إصلاحا...

أساسا ما هو الإصلاح؟ الإصلاح هو محاربة الفساد الذي يشوب الفطرة ويحاول التأثير عليها أو تحريفها، ربما الإصلاح تختلف أبعاده وأولياته بحسب الزمان والمكان ودرجة الفساد المتفشية، لكن ما لا يختلف عليه اثنان هو أن الفطرة وتفاصيلها هي الأصل وهي المبتغى في نفس ذات الوقت...

بالمقابل تختلف المذاهب والمشارب والخطط والأفكار من أجل التخطيط للإصلاح...

إذن لا يمكن الحسم في نوعية الدعاة إلى الصلاح والإصلاح، ليس منا من هو معصوم من الخطأ، كل ابن آدم خطاء وهذا لا يمنعنا من التناصح فيما بيننا خاصة وأن الله تعالى جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف، وهذا التعارف يبنى على الحب ويتطور بالتهادي والتناصح.

الإنسان عبارة عن تركيبة وتشكيلة غريبة جدا، ففيه جانب عظيم من الصلاح والنور وله جانب مظلم قاتم يسيطر فيه هواه وشيطانه ونفسه ودنياه... تختلف هاتين المساحتين من إنسان لآخر، ولكنها لا تنعدمان. هذه الجدلية تجعل من كل إنسان حالة متفردة عن غيره وتبعث فيه حافظة من أجل تطوير أحد الجانبين، ونحن كمسلمين من طبيعة الحال نبحث عن تطوير ذواتنا نحو نور ربنا لذلك تكون الحكمة ضالتنا وأينما علمنا لها خبرا سعينا إليها، والحكمة من الصلاح وتهدي إلى الإصلاح،... وكم من حكمة جاءت من سفيه ومن مخمور ومن غبي ومن كافر ومن ضال ومن عاصي، وتبقى العبرة والغاية هي الأهم بعيدا عن الحسابات الضيقة التي تدني من سمو المبتغى إلى دهاليز الظلمات الدنيوية البذيئة.

الإصلاح لا يرتبط بأشخاص معينين ولا بأماكن أو أزمنة معينة، وإنما هو مرتبط بكل الشخص، إن كان محبا لذلك يبحث عن حال فطرته في فسيح جمال خلق ربه، حتى ينسجم مع الأصل الفطري الخالي من الشوائب والمليء بالجمال الطبيعي، فهو ملزم بإنشاء ذات تتلاءم وهذا الأصل ويجعل غيره أيضا يتبع نهجه القويم السليم، وهذا ليس صعبا بالنسبة لنا كمسلمين، لأننا الأمة الوسط التي أُخرجت للناس...

القرآن الكريم،... والسنة النبوية

القرآن الكريم كلام الله عز وجل، وهمسة سماوية حنونة من رب ودود إلى عبادة وخير خلقه، كلام قوي صداح رائع استغرق منذ نزوله إلى اليوم سنوات طويلات من أجل الغوص في معالمه والبحث في خباياه العميقة والدفينة بين سطوره ولا زال البحث مستمرا وجاريا...

ومن أجل حفظ القرآن وتشريفه في قلوبنا تنظم تظاهرات هنا وهناك في أرجاء المعمور الفسيح من أجل الحفظ والتجويد والترتيل... لكن هل انتهى الأمر عند هذا الحد؟ ماذا أخذنا من القرآن؟ وماذا استشفينا من كل هذه التظاهرات؟ هل هذه التظاهرات تكفي من أجل فهم القرآن بشكل يروي ظمأ المحتاجين؟

تحدثنا عن المحاولات التي يحاوَل من خلالها ترسيخ القرآن بين الشعوب والأجيال لكن هناك نسف كبير لأهم أداة ارتبط بها القرآن وصارت قرينته ووسيلة تفسيره والمكملة له، فلا نرى اهتماما ولا حضورا لهذه الأداة اليوم بشكل كاف، حتى أننا أصبحنا اليوم على هوة ومساحة كبيرة من القرآن فنتلو كلماته ولا نستشف روحه وجوهره...

هذه الأداة هي السنة النبوية التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من منظومة إسمها الإسلام، فالسنة النبوية هي المترجم وهي الدليل المفسر الذي بدونه يمكن الجزم في استحالة فهم مجمل القرآن وتوضيح ما يصعب فهمه وتفصيل ما جاء فيه،... كيف يمكن الفصل بين هذا التوأم المتماثل المتلائم؟

بما أننا تحدثنا عن ارتباط القرآن بالسنة، يمكننا أيضا أن نتأمل أيضا في هذه العلاقة الوطيدة والتقرب منها أكثر. من الأحوج للآخر هل السنة للقرآن أم القرآن للسنة؟

والجواب هو أن القرآن أحوج وأفقر للسنة، هناك من سيقول أنه كيف يعقل أن يكون كلام الله محتاج لكلام وأفعال مخلوق حتى يُفهم؟؟؟ والرد سهل جدا، فكلام وفعل ذاك المخلوق (وهو أشرف مخلوق صلى الله عليه وآله وسلم) هو من وحي الله تعالى وإرشاده، وليس ارتجالا، والله عز وجل جعل الحبيب عليه الصلاة والسلام بين ظهرانينا كي يكون تطبيقا فعليا وتفصيليا لما جاء في كتابه، ففصل الستين حزبا على وإلى 23 سنة كانت واضحة وموضحة لكل ما جاء من المختصرات والمجملات في القرآن... وكما قالت عائشة رضي الله عنها: كان قرآنا يمشي بين الناس

إذا كان الله تعالى قرن إسمه باسم الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم مع كل نداء للصلاة وجعل ذلك مفتاحا للدخول للإسلام، كيف يمكننا نحن الفصل بين كلامه سبحانه وسنته عليه الصلاة والسلام؟

القرآن الكريم،... والسنة النبوية 2

جاء في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"... كقراءة للمعنى المباشر للآية تظهر أن الله عز وجل يحسم في أمر تعذيب قوم فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا بين ظهرانيهم؛ لكن إذا تحدثنا عن تفاسير أخرى وما جاء فيها، مع العلم أن الله عز وجل يتحدث عن روح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه وجوهره لا عن جسده بالأساس...

روح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي سنته التي كانت عبارة عن كل كلام خرج من بين ثناياه الشريفة وكل فعل قام به الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وكل تقرير جاء به عليه الصلاة والسلام...

وكيف يعذب الله عز وجل قوما وهو يعيشون بأعظم فلسفة وأقوى فكر جاء في تاريخ البشرية بشهادة غير المسلمين، فلسفة متناسقة متكاملة تستند على المنطق وتؤطرها الأخلاق وتحيا بروح الله تعالى وتتمنهج بكتابه سبحانه... فلسفة عشقها من بحث فيها بحب وعشق وأبهرت من حاول انتقادها والحط منها...

والحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ربط القرآن بسنته العطرة حينما تحدث عن شيئين لن نضل إن تمسكنا بهما وهما الكتاب والسنة،... وكيف سنضل ونحن نعيش في كون صاحب الكتاب بمنهج حبيبه عليه الصلاة والسلام؟

صاحب الكتاب كلامه مختصر جدا ويختزل بين أسطره عوالم وثقافات لا يستطيع العقل البشري وحده استيعابها، لذلك جاءت سنة الحبيب عليه السلام حتى تبسط المعاني بوحي من الله تعالى تأييد منه سبحانه، ربما ليس بشكل مباشر في جميع الحالات، لأن الحبيب عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، ولا زال العلماء الدينيون والدنيويون يغوصون في جميل ذلك الكلام ويفصلون مجمله... وهذا ما يزيد من غرابة وإعجاز القرآن الكريم الذي فسر وفصّل الكثير من مجمله الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم خلال 23 سنة وبالرغم من ذلك لازال البحث قائما في الكتاب وحتى في السنة.

لليوم مرت أكثر من 14 قرن ولا زال القرآن الكريم وشقيقته السنة العطرة مصدرا لا ينضب من العلم والبحث والاستكشاف والتطوير والتطور بما يتناسب مع كل زمان ومكان، ومتى أهملنا السنة من أجل فهم دستور الأجيال "القرآن" توقف كل شيء لأنه كما سبق الذكر القرآن أحوج للسنة كثيرا ولا يمكننا الخروج منه بتوصيات لحياتنا، ولا بقوانين وسنن حياتية جديدة متجددة توافق التطور المشهود كل يوم، دونها...

ثوابت الدولة... التعليم

يقال أن ثوابث نجاح أي دولة هو إصلاحها للتعليم والصحة والقضاء...

نبدأ بالحديث عن التعليم، التعليم الذي وكما يبدو أنه ضل عن صواب وجادة الطريق الصحيحة وضاع بين دهاليز مظلمة ضالة تنتج مجتمعات مضلة... كيف يمكن أن يكون التعليم نافعا ناجعا؟

ربما التعليم والتعلم ليسا مرتبطان بأسوار إسمها مدرسة وطاولات و... بل هما مبدآ حياة بأكملها، لأن الانسان منذ أول صرخة له في الحياة تنطلق حواسه في المراقبة والتسجيل والتعلم وإنتاج شخصية مستقلة انطلاقا من المحيط الاولي الذي يكون بالأساس هو الأسرة فيتلقى ما قُدّر له من المعلومات والثقافات الحياتية التي يجب أن تكون بالأساس هي الثوابت التي سيعيش بها بقية حياته، من أخلاق وحسن أفعال وكيفية التخطيط والإعتماد على النفس... آنذاك يخرج إلى المدرسة مرورا بالشارع، فيصمد الطفل أمام الطالح ويطور الصالح داخل المدرسة بتأطير من المعلم أو لنقل "المربّي" الذي يكون القدوة الصريحة للتلميذ بعد أبويه، يتلقى تربية أخلاقية أكاديمية تنضاف إلى التربية البيتية الأبوية... وهنا يمكن القول أن التربية البيتية تصنع الشخصية المميزة للفرد والتربية الأكاديمية تهتم بصنع جيل كامل متكامل منسجم، يسد كل حاجيات المجتمع والبلد على نطاق أوسع، من الاخلاق والمعارف والثقافات المتفق عليها والتي لا يختلف عليها وعلى أسهها اثنان...

بعدما تنتهي فترة الإبتدائي التي تكون فترة لتلقي أهم القواعد العلمية والتربوية تأتي فترة الإعدادي التي توافق بداية مرحلة المراهقة، آنذاك نحتاج إلى مساعدين ومربين من نوع آخر وطريقة تعليمية تعلّمية تتناسب والمرحلة العمرية الجديدة، في هذه الفترة يجب منح الشاب الحديث مساحة أكبر للتعبير عن ذاته والتحدث عن توجهاته واهتماماته واحتضان قوته وطاقته الكبيرة ومحاولة توجيها لمصلحته بعيدا عن القمع والعنف اللذان يخلقان في نفس هذا الشاب الحديث نوعا من التحدي ومجابهة العنف بالعنف والامر بالعصيان...

ثم يمر الشاب للمرحلة الثانوية، حيث يكمل ما بدأه في المرحلة الاعدادية ويستعد أكثر لتحمل مسؤوليته أمام نفسه، أمام أسرته وأمام المجتمع بأكمله، إذ أنه حينما ينهي المرحلة الثانوية يكون مسؤولا ومنتجا فكريا وقادرا على الإبداع الذاتي، مُؤَطرا بكل ما تشبع به من أفكار وأخلاق ومبادئ طيبة تساعده على إيجاد نفسه وإيجاد مساحة له داخل مجتمع إنتاجي واع ومفكر... لينتقل إلى الجامعة، معقل الفكر والإبداع والسلطة العقلية المباشرة التي تحكم المجتمع فيكون من القادة الأخلاقيين والفاعلين المؤثرين في وسطه...

بهذه المنهجية البسيطة في أسطرها، والتي يمكن التفصل والتعمق فيها وفي مراحلها بإتباع علم الاجتماع وعلم النفس، يمكن صنع مجتمع كامل متكامل يقوده قادة تأطروا تأطيرا صحيحا سليما يؤهلهم لهذه المهمة الصلبة الجلدة، عكس ما نعاين ونشاهد اليوم للأسف خاصة في بلدان أهل الحق...

ثوابت الدولة... العدل

القضاء أو لنقل العدل، ثاني ثوابت الدولة وأحد رموز قوتها إذا كان نزيها، وكما لا يخفى فالعدل إسم من أسماء الله تعالى الحسنى وصفة من صفاته العظيمة،... دعونا نحاول تجسيد بعض أخلاقيات القضاء وتجلياته في المجتمع وفي الدولة عموما...

العدل يوفر بدرجة أولى الأمن والأمان في البلاد، فترى الطمأنينة تسود كل الأرجاء، تجد المجرمين خائفين لا يتجرؤون على شيء من الأذى في غالب الأحيان، وترى الناس آمنين وفي بلادهم يمرحون، والله عز وجل بصفته العدل ينتصر للأمة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينتصر للأمة الظالمة وإن كانت مسلمة، لأن الاسلام سلام والسلام يحمل بين دفوفه الأمن، والأمن لا يأتي إلا من وراء عدل وقضاء نزيهين،...

وكما سبق الذكر فالقضاء يجب أن يكون رادعا للمجرمين منتصرا للمظلومين حتى يسود جو من الراحة النفسية وبالتالي يسمح للنفوس المبدعة الإنطلاق في إبداعاتها وتفكيرها البنّاء من أجل صناعة الحضارة وبناء قوة الدولة وبالتالي إنشاء الدولة القوية...

العدل أساسه الأول هو الأسرة (لبنة المجتمع)، عندما يتربى الإنسان في جو من العدل وحماية الحق واحترام حقوق الآخرين، ينشأ على هذه القاعدة الطيبة منذ الصغر فحتى إن كان القضاء العام مريضا تجده هو حريصا على الحق فلا يظلم أحدا وبالمقابل يمكنه التسامح والعفو عند المقدرة...

والقاضي إن نشأ في بيئة عادلة سيكون عادلا منزلا للحق ولو على نفسه لأنه متأثر بما تربى عليه ومنتظرا لرحمة العدل سبحانه يوم يلقاه، ولنا في أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه الذي صار بعد حكمه رمزا للقضاء الصافي النقي العادل إذ لا يظلم لديه أحد، وما ذاك إلا نتيجة لتربية نبوية وقرآنية تُرجمت على أرض الواقع، والقصص في هذا الباب كثيرة جدا ويمكنك الإطلاع عليها في كتب السيرة...

لا داعي للتحجج بأن القضاء ظالم وفاسد، لأن من قال أن الناس هلكوا فهو أهلكهم، والتغيير يبدأ من النفس أولا قبل النظر للآخرين وكما يقولون: طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس،.. واجبنا نحن أن نربي أنفسنا على العدل والصدق والإبتعاد عن الزور وأهله، وأن ننشئ جيلا عادلا عُمَرِيًّا يعيد للأمة مجدها ونزاهتها في العدل وبالتالي يحيي في الأمة الطمأنينة والراحة النفسية حتى تنطلق العقول متسلقة مصاعد النجاح نحو المجد الدنيوي والإعمار الرباني...

ثوابت الدولة،... الصحة

يقول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير"، أجل هي الصحة التي تعتبر ثالث الثوابت من أجل دولة قوية، وكيف يمكننا الحديث عن القوة في غياب الصحة؟

تظهر قوة الدولة جلية حينما تستطيع حماية مواطنيها من تفشي الأمراض، وحتى مجابهة المرض ومقاومته والحد منه إن انتشر، هذه الحماية وهذه المجابهة تتطلب آليات وخططا علمية وأدوات تخطيطية وعقولا مفكرة، هذه العقول يجب أن تكون ذات فكرة شاملة ومسبقة عن جسم الإنسان وجزء من خباياه العظيمة (وفي أنفسكم، أفلا تبصرون)، وهذا العلم يتطلب بحوثا طويلة وصبرا جميلا ورغبة قوية وحبا أقوى للخالق...

وكما يقولون، العقل السليم في الجسم السليم، أي أن العقل لا يمكنه الإشتغال في ظروف جيدة وطيبة ويبدع ويطور إلا إذا كان الجسم في أحسن حالاته، حتى لا يستغرق من العقل مساحة تفكير في مكامن خلله فيضعف هذا العقل وبالتالي يضعف المجتمع وتضعف الدولة بأكملها...

كل ما سبق ذكره يمكن اعتباره من مسؤوليات الدولة، لكن على مستوى الفرد فمن الواجب الإهتمام بالصحة بشكل مستمر، خاصة وأنها هبة ربانية وهذا ما يجعلنا ملزمين بالحفاظ عليها حتى نكون بمستوى هذه الهبة العظيمة جدا. حفاظنا على صحتنا يتجلى أولا في أكلنا الذي يجب أن يكون صحيا وخفيفا حتى لا يستغرق وقتا أطولا في الهضم وبالتالي انشغالا عقليا أكبر... ثم الحديث أيضا عن الحركية والرياضة بشكل دوري حتى تتحرك عضلات الجسم وتتجدد الدورة الدموية في كامل الجسم بشكل فعال أكثر...

بالرجوع إلى الحديث النبوي في البداية، يمكننا رؤية بعد النظر النبوية بين كلماته، فالمؤمن القوي سيكون أكثر صبرا وأكثر تحملا وأكثر عزيمة وقوة وإصرارا سواء في العبادات والفرائض والإجتهاد فيها، أو حتى في أعمال عمارة الأرض والإستخلاف التي نحن من أجلها أُرسلنا إلى الأرض، من المؤمن الضعيف الذي يسيطر عليه الخمول والعجز وتغيب عنه الفعالية في جميع أعماله، فما هو بعابد محسن وما هو بمُعمّر جيد...

التحرر من قيود الدين، التحرر من قيود الخالق

سمعنا مؤخرا عن أناس يدعون للتحرر من قيود الدِّين والعيش بحرية وعدم تربية الأطفال على تعاليم الإسلام وترك حرية الإختيار لهم بما يتناسب معهم...

الله تعالى خلق الكون كله بنظام متكامل متناسق من الذرات ومكوناتها إلى المجرات ونجومها وجهز هذا الكون كله لاستقبالنا نحن البشر من أجل غاية عظمى هي عبادته تعالى، هذه العبادة التي تتجسد ماديا بإعمار الأرض والإستخلاف فيها تجسدا للرغبة الربانية، هذا الإعمار يجب أن ينسجم مع النسق الرباني في الخلق.

إعمار الأرض يبدأ من معرفة ودراسة هذه الأرض وخباياها ومحيطها الخارجي جيدا، وهذه المعرفة لا تكون كاملة إلا إذا عرفنا وتعرفنا على صاحب ومبدع وخالق هذا الكون الفسيح سبحانه، ولا سبيل لمعرفة الكون وصاحبه بالأساس سوى من القرآن والسنة النبوية التي تعتبر مصدرا موثوقا لعالم من المعلومات والحقائق، أثبتها ولا زال يثبتها العلم الحديث وينبهر بما جاء في الكتاب والسنة منذ 1400 سنة.

بالعودة إلى أصحاب فكرة التحرر من قيود الدين؛ التحرر من الدين يعني التحرر من قواعد وثوابت الحياة، والتحرر من هذه القواعد يعني الخروج من السيطرة والسلطة الربانية... حسنا، كما جاء الذكر وكما هو معلوم فالله تعالى هو خالق هذا العالم بتفاصيله ومن المنطق أن أي شخص أراد العيش في غير هذا النظام أن يتركه ويخرج منه ويبحث له عن عالم عشوائي لا يحكمه إله وهو الشيء المستحيل، إذ لا عشوائية في الطبيعة ولا حياة تأتي من فراغ دون خالق...

ثم إن من ذاق حلاوة معرفة الله سبحانه لا يمكنه التفكير في ترك جواره... وأن جل وأغلب عباقرة ومفكري التاريخ شهدوا لله بالوحدانية وجزموا بأن لهذا الكون الفسيح المنظم المتناسق، التابع لنظام واحد متشابه ومتماثل، خالق واحد ووحيد نهج نفس المنطق ليخلق الكون بتفاصيله الدقيقة الرقيقة...

فكيف تأتي تلك الشرذمة القليلة، غير الواعية صراحة بخبايا وكواليس الأمور كما ينبغي، بعد أكثر من 14 قرنا لتقول مثل ذلك الكلام الذي ينم عن جهل كبير،... كلام يجعل من هذا الكون الشاسع الواسع عشوائية منظمة، هل فعلا يصح هذا القول وهذا الإدعاء؟ خاصة من أناس "مثقفين" يعلمون درجة تعقيد الأنظمة الكونية التي لا يمكن إرجاعها إلا لخالق وجب علينا معرفته لأنه إليه يرجع أصل كل شيء.

لا يجب أن نحرم أنفسنا ولا أبناءنا من الفوز بقرب الله وفهم بعض الحكم التي جعلها في خلائقه، وكما جاء في القرآن الكريم "ما أنزلنا عليك لتشقى" فدليلنا للسعادة هو كتاب الله وسنة حبيبه...

التحرر من قيود الدين، التحرر من قيود الخالق 2

تحدثنا في الموضوع السابق عن دعاة الحرية الدينية والتحرر من قيود وسلطة الإسلام، وآثرت عن أكمل في نفس الخاطرة خاصة وأن الموضوع فيه ما فيه من الكلام الكثير،...

إذا اتفقنا مع أصحاب تلك الفكرة وقلنا أننا يجب أن نتحرر من الدين أي أن نتحرر من سلطة الرحمن، هذا يعني أننا يجب أن نتحرر من نظم حياة كاملة وبالتالي هناك حالتين اثنتين، إما أن نعيش في غوغائية وعشوائية تامة وبالتالي سنكون تحت رحمة العضلات، أي أن النظم المسيرة ستكون خاضعة للغرائز الوحشية، أي أن الفكر المسيطر الذي يجب الخضوع له هو فكر استبدادي دون الحيوانية؛ وإما أن نعيش بنظم وقوانين حياتية يضعها البشر (وهنا نذكر أن هذه النظم إن وضعت فستكون مؤلفة من عقول خلقها الله تعالى بمعنى أن هذه النظم ستكون ذات مصدر فطري رباني لكن بمستوى ضعيف جدا مقارنة بالنظم الربانية) وبالتالي سيخضعون أيضا في هذه الحالة لمبادئ وقوانين...

في كلتا الحالتين وفي جميع الحالات سيكون البشر في حالة خضوع، فإما يخضعون لفكر حيواني، وإما لإيديولوجيات وضعية وضيعة، فأين تتجلى بالأساس هذه الحريات التي يدعون إليها؟

أضف إلى ذلك حقارة خضوع إنسان لإنسان آخر سواء بالفكر أو بغيره، لأنه يصعب أن يخضع مخلوق لمخلوق، ونتذكر قول الفاروق رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار؟

الإستعباد ليس بالضرورة أن يكون استعباد كالرق، فإخضاع إنسان لطريقة حياتية معينة هو في حد ذاته استعباد، والصحابة حينما كانوا يتحدثون عن الفرق بين الجاهلية والإسلام كانوا يقولون أنهم تحرروا من قيود الحيوانية والظلمات إلى نور الله، لأن الله تعالى بالأساس لا يقيدنا وإنما يرشدنا فيما نجهل ويخيرنا فيما نعلم، وما أرحمه حينما منحنا عقلا نميز به وننطلق به وزاد على ذلك الكتاب والسنة حتى لا نتوه كثيرا في إيجاد الحق،...

ونضرب مثالا ولله المثل الأعلى سبحانه، حينما يصنع أحد الصانعين منتوجا هل يهمله أم هل يعتني به ويحنو عليه ويحميه من أي ضرر كيفما كان؟ من طبيعة الحال يكون الجواب هو العناية والحماية... فما بالنا إذا كان الصانع هو الرحمن الرحيم الودود الجواد الكريم عز وجل؟ هل يمكننا تخيل حنانه ورحمته؟

حب الآباء... حب الخالق

كلنا نحب والدينا ونعشقهم عشقا كبيرا،...

نرى الأب يستيقظ باكرا ليخرج ويتعب ويكد ولا يمل من أجل لقمة هنية كريمة لأبنائه، وما يشتكي يوما أمام أبنائه حتى لا يقلقهم، بل يظهر لهم الراحة والسعادة والرضا،... يضحي براحته ووقت استراحته حتى يعمل أكثر ويجني مالا أكثر حتى لا يشتكي ابن من أبنائه...

أما الأم فليس هناك من الكلام ما يوفّي حقها، هي الحنان والأمل والحضن، هي التي لا تنام حتى ننام، هي التي تمرض حتى نبتسم نحن، لا حدود لإبداعاتها في الإرضاء والتضحيات...

الأب والأم هما أكثر مخلوقين يحباننا حبا صادقا ينبع من قلب صافي، حبا بجميع أركانه وثوابته، لكن كما جاء في بداية الفقرة، هما مخلوقان فقط، مخلوقان وينتجان كل هذه الحنية والحنان والحب والصدق والأمانة والضعف والتضحية والإخلاص والوفاء أمام الأبناء وحاجتهم ومرضهم وكل نقائصهم...

فما بالنا بخالق هذين المخلوقين العظيمين، مخلوقين ينبعث منهما كل هذا الخير العظيم، خير وحنان يمثل جزءا يسيرا من رحمة نزلت للأرض وبقيت تسع وتسعون في السماء مثلها في السماء

ما بالنا برحمن رحيم أنزل رحمة واحدة منذ بداية الخلق إلى اليوم تراحمت بها كل المخلوقات ورحم بها كل الوالدين أبناءهم، ورحمت بها كل الحيوانات أبناءها ومواليدها، فلنتخيل كيف سنكون بتسع وتسعين أخرى، وكيف سنكون مع خالق هذه الرحمات، رب هو أصل كل إحساس رائع، رب كان من الممكن أن يغفر لفرعون، أكثر البشر كفرا ووقاحة،...

عقلنا الصغير لم ولن يستطيع تخيل عظمة وحجم رحمة الله تعالى وحنانه وعطفه وحبه وسماحته، لكن السؤال الذي يجب أن نطرحه هو: هل فعلا نحن نستحق كل هذه الرحمات والكرامات الربانية؟ هل نحن أهل لها وللاستفادة منها؟

والله نحن ضعاف ولا نجتهد حتى كي نرضي والدينا، فكيف سنرضي خالقهما وخالقنا الذي لم ولن يبخل علينا بكثير من خيراته ونعمه وبركاته...؟

أتمنى أن نعيد النظر في رؤيتنا لرحمات ربنا، وأن نرحم أنفسنا كما أراد ربنا سبحانه، آنذاك سنعيش في عالم من السعادة والرحمات والجميلات

للحب ثوابت...

كثيرا ما يدور الحديث عن الحب في المجالس والتجمعات، ونحن أيضا تحدثنا في خواطر سابقة عن الحب وبعض من تجلياته، وفي هذه الخاطرة فكرت أن أتحدث عن بعض ثوابت الحب التي لا يقوم في غيابها أو في غياب بعضها، ولا يمكننا الحديث عن حضور معنى الحب إن لم نسع لتجسيدها في علاقاتنا... هذه الثوابت التي سيأتي ذكر كل منها، ولا فضل لثابتة على أخرى...

الصبر: هذه الصفة الطيبة العظيمة، التي بشر الله أهلها بخير عظيم، لا تكاد تغيب في أي من أمور المسلم الكيس الفطن، فالصبر مفتاح للفرج، وطوبى للعبد الصبور الذي يحمد الله على جميع حاله، فيصبر على الخير فلا يغتر ويصبر على الضنك فيحمد الله ويحتسب وإذا رأينا صبر الله تعالى المحب علينا نحن المقصرين كثيرا فكيف لا نصبر على بعضنا ولا نغفر لبعضنا؟

التضحية: الصبر في حد ذاته تضحية عظيمة جدا بين المحبين، وتمظهرات التضحيات كثيرة، فلن نكون كاملين في عطائنا وحبنا ولكن بعض التضحيات تعمق حبنا وتزيد من درجة الحب في قلوب من يحبوننا وتظهر حجم التنازلات التي يمكن أن نقدمها من أجل تطوير هذا الحب وترسيخه...

الوفاء: وهل هناك حب بدون وفاء من الحب للحبيب، فلا الغياب ولا المشاكل تجعل المحب ينجرف بين مذاهب الخيانة والشك والوسواس... الحب أمانة يضعها الله تعالى في القلب فلا هذا الطرف ولا ذاك يمكنه اللعب بعظمة هذه الأمانة وتضييعها بسهولة... خاصة وأن الحب والمحب هبة من الله فيجب الوفاء لهما من أجل الحفاظ عليهما.

الثقة: هذه الثابتة العظيمة تنبني على الصدق بين الطرفين، متى ترسخ الصدق فثم هي الثقة تنمو وتزكو، فلا يصدق المحب شيئا عن حبيبه حتى يتبن ويتأكد... بعيدا عن سوء الظن والأفكار الشيطانية الهدامة التي تبتدئ بالوساوس المبنية على الأوهام والتخيلات وربما تنتهي بالكوارث التي لا تحمد عقباها وربما يكون قد فات الأوان ولا مجال للرجوع وللإصلاح...

الصراحة: كل الخبايا والشكوك والضبابيات تُحلّ بالحوار والنقاش المبني على الصراحة، فلا طرف يخفي على الآخر ما يجول في دواخله وما يصير معه من مواقف وحوادث مهما كانت العواقب ومهما كان ذلك صعبا، لأن الأمور كلما تأخر حلها كلما زاد تعقيدها...

خمس ثوابت من أجل تجسيد واقعي للحب، ليست هي الخمس الوحيدة الموجودة لكن، في نظري، هي الخمس المهمة التي لا يقوم حب في غيابها...

البطولة والنجومية

في زماننا هذا كثر الأبطال الخرافيون، هذا الرجل العنكبوت، وذاك الرجل الوطواط، وهذه الساندريلا... أصبحوا هم الأبطال في عقولنا، حتى وإن كنا نعي بشكل قطعي أنهم مجرد خيال لكنهم يترسخون في عقول الأطفال ويحلمون أن يكونوا أمثالهم بل ويفكرون في وجودهم بشكل حقيقي، حتى الراشدون من البشر يتأثرون بهؤلاء الأبطال إن لم يكن بوعيهم فبداخل عقولهم الباطنية يتأثرون بهم...

هذا التأثير له سببين، أولهما مادي وثانيهما معنوي... أما السبب الأول فهو طريقة التصوير وأعمال المونتاج والموسيقى التي تكون موجهة لتحريك بواطن العقول وترسيخ هؤلاء الأبطال في الأذهان؛ وأما السبب الثاني فهو النقص الذي نعيش فيه، نقص في الأمن والأمان ونقص في الثقة ونقص في القناعة ونقص في السعادة ونقص كبير في الحب... نقص في نواحي عدة نتج عنه الحاجة إلى الكمال وإن لم يكن الكمال فلنقل الحاجة إلى الإكتفاء أصبحنا نبحث عنه في الأفلام والخرافات والأوهام...

الأبطال الحقيقيون هم نحن، نحن من خلقنا الله تعالى بيديه العظيمين ونفخ فينا من روحه وجعل الكون كله في خدمتنا وتحت إمرتنا، الأبطال هم نحن، نحن من وهبنا الله عقلا وصلنا به كواكب وتعرفنا به على كواكب أخرى ونجوم بعيدة جدا، عقلا هو من فكر وصنع واصطنع كل هؤلاء الأبطال الخرافيين وخطط لقصصهم وأبدع في تأليف قصصهم وتمجيد قدراتهم وقواهم...

البطولة الحقيقية هي أن نلتزم بالأخلاق، لأن الأخلاق هي الدواء لكل داء اجتماعي؛ فعندما يكون الحياء سائدا والتسامح والقناعة متفشيين سنعيش في جو آمن، عندما تُحفظ الأمانة ويحترم العهد لن تكون هناك سرقات وخيانات ونزاعات، عندما يسود العفو بين الناس يكثر الخير بإذن الله تعالى...

الله سبحانه وتعالى جعل الخير هو الأصل فينا، ومتى جسدناه وأخرجناه إلى الوجود فهو سبحانه يباركه وينميه وييسر لأصحابه أبوابه ومفاتيحه.

البطولة ليست خرافة، البطولة هي الرجولة والمروءة المحفوفتين بحب الله تعالى، حين تجتمع هذه الخلطة في إنسان فذاك هو البطل الحقيقي...

زمن... كان فيه الخير، كل الخير

استمعت لقصة رائعة جدا وقعت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وآثرت أن نتشاركها معا...

يُروى أن أحد الرعاة كان قد أخرج إبله للرعي، وقف أحد الجمال على حدود أرض الرعي وكان عجوز على الطرف الآخر من الحدود فوق أرضه فاقترب بدون وعي منه من الجمل، فما كان من هذا الأخير إلا أن ضربه حتى سقط ميتا؛ اشتكى أبناء العجوز المتوفي الراعيَ لعمر رضي الله عنه، أقرّ الراعي بما وقع وكان الحكم هو القصاص (قتل الراعي)، طلب الراعي من الفاروق ثلاثة أيام يأخذ فيها أخاه الصغير إلى أخواله، لأنهما يتيمان، يوصيهما عليه ويضمن له حقه ونصيبه في الإرث، ويكلف من يعول الإبل ويحرص على رعيهم ثم يعود، اعترض أبناء القتيل، فوقف أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأعلن ضمانته للراعي حتى يعود، تعجب عمر رضي الله عنه ثم أخبره بخطورة فعله وأنه إذا هرب الراعي سيقتص منه، فوافق...

ذهب الراعي ومكث ثلاث أيام كاملة، واجتمع الناس مغرب اليوم الثالث ينتظرون الراعي الذي تأخر وظن الناس أنه خان العهد، وخاف الناس على أبا ذر رضي الله عنه... وفجأة ظهر الراعي يجري قادما، وقف وسط الناس واعتذر عن تأخره بسبب ما ذهب لأجله، سأله الفاروق عن عودته رغم أنه كان بإمكانه الهرب فقال: عدت حتى لا يُقال ذهب العهد من الناس؛ ذُهل الجميع من جميل فعل الراعي، عندئذ قرر أبناء العجوز التنازل عن شكواهم وسامحوه، فسألهم الفاروق عن فعلهم أيضا فأجابوا: سامحناه حتى لا يُقال ذهب العفو من الناس؛ ثم التفت الفاروق إلى أبي ذر وسأله عن ضمانته للراعي وكل الثقة التي وضع فيه رغم أنه لا يعرفه، فأجاب: فعلت كذلك حتى لا يُقال ذهب الخير من الناس...

قصة رائعة جدا جعلتني أحرك عقلي لأعلى مستوياته وأنا أرى قمة روعة هذا المجتمع الراقي الرائع، مجتمع كله أخلاق ومعاني ومبادئ رائعة صعب الوصول إليها وتطبيقها، جمال ورونق العيش بها وفيها؛

أسأل الله تعالى أن يعيد للمسلمين روح الإسلام في دواخلهم وحلاوة الإيمان في قلوبهم ورقي الإحسان في عقولهم وأن يحيينا كما أحيى جيل الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الصالحين

الحب والإستعمال

يقول الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "إن الله إذا أحب عبدا استعمله"

هذا الحديث النبوي الصغير كمّا، العظيم كيفا يمكنه تقسيمه لقسمين، قسم حب الله وقسم الاستعمال...

نبدأ بالقسم الأول وهو حب الله تعالى للعبد، هذا الحب الذي لا يأتي من فراغ، بل يأتي من حسن عمل هذا العبد من أجل كسب هذا الحب، عمل عبادئي عظيم، ينطلق من حسن وإحسان العبد في أداء العبادات، والتمثل بحسن الأخلاق وجميلها في المعاملات مع باقي المخلوقات، من بني الجنس ومع الحيوانات والنباتات، لأن المسلم الحق الذي يعرف ربه جيدا، يعرفه من خلال جميع مخلوقاته فيلتمس ويتلمّس بركات ربه في جميع خلقه...

حينما يصل العبد لدرجات الحب الرفيعة مع ربه آنذاك يتجلى الحب الرائع من ربه له، هذا الحب هو ما جاء في الحديث بلفظ الإستعمال، بحيث يكون الله تعالى هو عين العبد التي يرى بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وفمه الذي ينطق به، يكون الله تعالى هو المرشد والناصح والقائد لعبده حبيبه، فيرعاه فيما يجهل ويترك له الحرية بكامل الثقة فيما يعلم،...

ولنا أن نتخيل كيف يمكن أن يكون الله تعالى بجلال قدره وعظمته وسلطانه هو الرفيق والحبيب المرشد الذي يعيش معك وتعيش معه كل اللحظات، لحظة بلحظة... فلا تقدم على خطوة حتى تفكر فيه وتعلم أنك تعيش به ومعه سبحانه...

صراحة، حينما أقرأ الأحاديث النبوية التي تبين حب الله لعباده ورحمته سبحانه وحنانه لهم وفيهم وتفكيره فيهم وفي نواقصهم وما يحتاجونه... أصاب بنوبة خجل عظيمة جدا لأني أرى عدم تكافؤ كبير في العطاء بين الله والعبد... بالرغم من ذلك ترى عطاء الله لا ينقطع ولا ينضب بل يزداد ويزكو وهو من هو سبحانه،... إنما هو حب، أرقى حب من الله لعباده القريبين المقربين منه

استعمال الله تعالى لعبده هو تفعيل ذاتي للعبد لما يوجد في دواخله من قوى ومواهب وملَكات لإعمار الأرض وبنائها وتعميرها،... اللهم استعملنا فيما يرضيك عنا ويصلح الحال ويحسن الأعمال.

الإخلاص والإحسان

صرنا اليوم في زمان سادت فيه المظاهر وكثرت فيه الذاتية حتى في أمور العبادات فلا ترى تنافسا حسنا مباركا في أمور الدين والدنيا وإنما هي تميزات وتفاخرات انتشرت بين الناس، كل هذا يمكن أن يوقع في الشرك الأصغر (والعياذ بالله) وزد على ذلك الكبر والتكبر وربما يصل الحال إلى النفاق نسأل الله تعالى والرحمة...

الإحسان في كل الأعمال الدينية والدنيوية منها هو أساس و أصل فطرة المسلم الحق، ولا يرضيه في كل أعماله سوى الله تعالى ورضوانه، لا تهمه دنيا يصيبها أو شهرة بين الناس يؤتاها،...

وهذا من باب إعلاء السقف في الطموح، لأن المؤمن الكيس الفطن لا يربط نفسه وأعماله بدنيا بذيئة، بكل ما تحمله من مغريات سلطة أو شهرة أو تميز، ولا حتى بالجنة، بل يربط أعماله مباشرة بالمحب الحبيب سبحانه مباشرة ولا يهمه ما دونه...

ولنا في الصحابة رضوان الله تعالى عليهم خير مثال لنا، فهل يوما سمعنا عن أبي بكر أو عمر يبحثان عن الشهرة أو التميز عن باقي الصحابة؟ وهل سمعنا غيرة وحسدا بين الصحابة أو مناوشات قامت بين الصحابة بسبب ذاتية أحدهم؟

لا والله وحاشاهم ذلك، فهم والله أهل الله الذين عاشوا فيما بينهم بكل حب وتعاطف وتراحم وتسامح، حتى أنهم لم يشعروا يوما بفرق فيما بينهم، و عندما بُشّر من بُشّر بالجنة لم ينزعج أحد من ذلك، بل زاد ذلك المبشرين تواضعا وعبادة وورعا، وزاد غير المبشرين إحسانا وإبداعا من أجل القرب من الله والفوز برضاه...

بل وإن أهل الله تجدهم أكثر تواضعا وأكثر تكتما وانكتاما ممن دونهم، حتى لا تجد لهم ميزة بين الناس، ولنا في الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم خير قدوة وأسوة، الذي إذا حضر أحد الغرباء مجالسه لم يعرفه من أصحابه من تواضعه واندماجه مع البقية... فالفردانية لله تعالى وحده ونحن بني البشر أمة من الأمم ليس من فطرتنا أن نعيش فرادى معزولين، بل نحن كتلة واحدة وبناء واحد طوبه هو البشر، حتى إذا خرج أحدهم عن النظام والتراص ربما تلاشى البناء جميعه...

اللهم زدنا لك حبا ولك تواضعا ومعرفة وفيك ورعا وحبا وعشقا وأبعدنا عن كل شبهة وكل رياء وكل كبر يجعل بيننا وبينك عائقا أو حاجزا يا رب.

الأسرة، لبنة لصناعة الحضارة

لا تخلو أسرنا اليوم هذا من مشاكل داخلية تفتك بالعلاقات بين مكوناتها وبذلك يكون المجتمع كله هو المتضرر بالأساس، دعونا في هذه الخاطرة نناقش أحد أسباب نشوء هذه المشاكل الهدامة التي تعرقل المسير نحو النجاح الإجتماعي، ألا وهو غياب الحوار والنقاش والشورى...

ينطلق المشكل بالأساس حينما يقل النقاش بين الزوجين مع مرور الأشهر بعد الزواج، خاصة وكل طرف من الطرفين لا يرى إلا نفسه والضغوط الممارسة عليه، فالزوج يدخل البيت مشحونا بضغوط الشارع والعمل ويصبّ جم غضبه على زوجته التي تشكو وتشتكي بدورها من هموم البيت ومشاغله الكثيرة... فتنطلق النزاعات والشكاوي ذات الإتجاه الواحد بعيدا عن الحوار الهادئ والنقاش البناء، ولا أحد منهما يحاول امتصاص قلق الطرف الآخر أو التنازل من أجل تقليل الشحن وتلطيف الأجواء، وتندثر التضحية والصبر بين الطرفين، فيصبح أقل مواقف الإختلاف خلافا ومشكلا كبيرا، آنذاك يتحول الزوج لقائد مستبد للعلاقة الزوجية يتخذ ما شاء من قرارات ديكتاتورية، والزوجة لا تستحمل الضغوط التحكمية للزوج فيبدأ التفكير في التمرد...

في هذا الجو المكهرب يتوافد الأبناء، فلا يكونون سوى ضحايا الخلاف الحاصل بين الأبوين،... حينما يغيب التفاهم بين الأبوين، يحاول كل منهما تسيير الأبناء وإرشادهم على كيفه وعلى منهج يراه صحيحا وربما بطريقة مستفزة للطرف الآخر، هنا تزيد الهوة بين الأبوين وتتوه عقول الأطفال ومشاعرهم بين مرشدين مهمين كان من الممكن أن يتّحِدا معا حتى يوجهانهم توجيها صحيحا سليما يكابدون به المتاعب الفكرية التي تنتظرهم مستقبلا خارج إطار الأسرة، خاصة وأن الشارع اليوم لا يرحم...

عموما وفي أغلب الحالات، ومن أجل نجاح مؤسسة الأسرة التي بالأساس تكون المنتج الأول لعقول وقلوب تقود الحضارات، يجب على الزوج أن يقدم، ما أمكن، تنازلات تحكمية فلا يكون القائد المستبد، بل يعيش بمبدأ الشورى في كل الأمور ويصبر ويحلم على زوجته؛ ويجب على الزوجة تلطيف الأجواء ما أمكنها وأن لا تستقبل زوجها بالمشكل والمشاغل، بل تحاول ما أمكن امتصاص تعب وعياء الزوج حتى تكسب وده وتتحكم في قلبه وعقله، آنذاك يمكنها طرح مشاكل البيت وعراقيله بطريقة سلمية بعيدا عن الشكاوي التعسفية، ومشاكل البيت لا يجب أن تتعدى غرفة النوم حتى لا يتأثر الأبناء بها وينشغل عقلهم بمشاكل هم في غنى عنها... هذه تنازلات بشكل مختصر- وفعّال تجعل من الأسر مساحة وفضاء صالحا لنشوء أبناء عقلاء عاقلين ثابتين فكريا وصالحين ثم مصلحين إن شاء الله...

بصلاح الأسر يصلح المجتمع، تصلح الدولة، تتطور الحضارة، يعظم التاريخ...

القوة قوة الروح

يقول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"

سبق أن تحدثنا في خاطرة سابقة عن الصحة وأن الله يحب العبد القوي، ويأتي هذا الحديث ليعطي معيارا جديدا للقوة ويرسم معلما فلسفيا لها...

جميل جدا أن يكون المؤمن قويا بدنيا حتى يقوى على عبادة ربه بشكل أكثر فاعلية، ويعمر الأرض في بحث مستمر على التأسيس الملموس لمبدأ الإستخلاف، لكن هذه القوة تبقى قوة جسدية يمكن أن تفنى مع مرور الوقت والزمن، أما القوة الأعظم هي قوة الروح، الروح التي تعتبر المحرك للجسد،...

الأجمل هو أن نجد الروح و الجسد قويين معا، عندئذ تجد الروح القوية العاشقة لله والعارفة لما لها وما عليها تستطيع إرشاد الجسد القوي لكل ما تطمح له وما ترنو إليه من رقي إبداع وإحسان...

كيف يمكن للروح أن تتقوى حتى تصير قادرة على ضبط الجسد والتحكم فيه، ولا تجعله يخضع لهواه وغرائزه الحيوانية التي يمثلها الغضب كما جاء في الحديث؟

الروح تتربى بجميل الأخلاق وعظيم القرب من خالقها سبحانه، فإذا تربت على التواضع والعفو والتسامح والرحمة والحلم ما فكرت في استخدام الجسد ببلادة وغباء من أجل استرداد حق في ساعة غضب...

ولنا في الفاروق رضي الله عنه خير مثال للتطبيق الفعلي لهذا الحديث العظيم، فتراه في أيام الجاهلية جلدا قويا لا تحكمه سوى غرائزه وتجده يستعمل قوته سرعان ما يغضب، لكن ما إن هداه الله حتى صار أكثر هدوءا وأكثر ثباتا وصار يستخدم عقله قبل يديه وسيفه،... ما الذي جعل قلبه ليّنا؟ هو حب الله تعالى والتعلق بالحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وبأخلاقه والتطبع بطبعه على السلام... وفي أيام خلافته كان رحيما جدا، بل وغاب عنه الغضب بعدما تشبع تربية وتقربا من الحق وصار أكثر نضجا روحيا...

وهذا نهج الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه من قبله الذي ما كان يتعصب أبدا لنفسه، بل يتعصب فقط إذا شعر بتضييع حق الله، ولا تكون ردة فعله سوى بأن يحمر وجهه الشريف فيفهم الصحابة بأنه انزعج من أمر ما، ولن تزعجنا أمور حياتنا أكثر من أمور وهموم ومواقف الحبيب عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك كان هادئا بارد الدم، يقابل الظلم بالإحسان، والشقاء والضنك بالابتسامة...

أصل الرجعية والتقدم

كما هو معلوم فالعالم الإسلامي يعيش اليوم أكثر أيامه تخلفا ودمارا ماديا ونفسيا وفكريا والسبب ببساطة هو أنه ضل سبيل النجاح الذي كان عليه الأسلاف... تغيرت الأولويات والمبادئ فضاع كل شيء...

هناك من يقول أن أصولنا ومبادئنا الأصلية قديمة ورجعية ولن تتماشى مع عصرنا اليوم... حسنا لنتفق قبلا على أن المبادئ هي المؤطر الفكري للفرد والجماعة... ومن يعتبر الغرب في تقدم، فهم جعلوا لأنفسهم مبادئ شبه ثابتة عبر الزمن وعملو وأبدعوا (انطلاقا من طريقة العمل الإسلامية القديمة الناجحة حتى وصلوا إلى ما هم عليه الآن) فلم يأخذوا العلوم فقط بل أخذوا حتى قيما كثيرة وأخلاقا عظيمة فعّلوها فيما بينهم فصاروا إلى ما هم إليه اليوم، أما نحن فضحينا بكل شيء واتبعنا هوانا ودواخلنا الحيوانية الدنيوية الدونية...

لنكن موضوعيين ولنعد بالتاريخ للسنوات الأولى للإسلام، حيث كان ينتشر بسرعة كبيرة بين القرى والقبائل بل وكان يحطم حضارات عظيمة كالروم والفرس والشام ويقف على أنقاضها... على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضمت الدولة الإسلامة أكثر من 20 دولة، لم تضمها لا بالسيف كما هو مشهور بين الناس، بل ضمتها أساسا بحسن الخلق وجميل التعامل والصفاء الإجتماعي والنقاء السياسي والقيادي،... وعندما نقول دولة، فنحن نتحدث عن أجهزة ومؤسسات وإلا فلا يمكن الحديث عن دولة كانت أقوى دولة في وقتها، بل وفي كل الأوقات بشهادة أغلب المؤرخين إن لم نقل جميعهم... دولة فيها الدين والدينا، فيها العلم والدراسة، فيها التربية الحسنة، فيها الإبداع والإحسان، فيها الإختراعات والإنتاجات المختلفة في جل مجالات ومناحي الحياة...

دعونا الآن نتخيل لو أن المسلمين الذين ضيعوا كل هذا العز ثبتوا على العهد وأكملوا على نفس الوتيرة المتصاعدة في الإبداع وتجديد القوى وتطويرها... هل من الممكن أن تكون خريطة العالم كما هي العالم؟؟ ذل مهين على المسلمين، غياب تام للأمان والأخلاق في جميع ربوع العالم المسلم... خمول وجمود للمسلمين، وانطلاق صاروخي للغرب... ربما لو ثبت المسلمون على نهج من صنعوا المجد لكنا الآن في أعلى عليين ولَكُنّا في تقدم وازدهار كبير وعظيم يفوت حال الغرب والشرق المتقدمين اليوم... ولكن هناك ألسنة تاهت عن الحق وتجاهلت الحقيقة وخبأتها بغربال من المستحيل أن يسترها... نسأل الله تعالى لهم الهداية عن طريق الظلام والعودة إلى الحق، وأن نكون كماليزيا وتركيا وغيرهم من البلدان الذين حاولوا إيجاد طريق النجاح، فحاربوا الفساد بأشكاله وانطلقوا من تجارب نجاح غيرهم ثم أنتجوا وأبدعوا طرقا خاصة بهم استطاعوا من خلالها ترك بصمة لهم في التاريخ المعاصر ونافسوا كبريات الدول القوية اليوم...

العيب ليس في حضارتنا القديمة وليس في الإسلام وليس في المبادئ والقيم والثوابت التي عاش بها أجدادنا... العيب فينا للأسف...

العبادة، قبل رمضان وبعده

قبل أيام ونحن في شهر رمضان الرائع، كنت أتناقش مع إحدى الأخوات الكريمات حول العبادات وكيف يمكن أن نزيد منها في هذا الشهر الفضيل وهل يمكن الثبات عليها بعد رمضان؟ اختلفنا في مسألة الثبات بعد رمضان، هي قالت أنه من الواجب أن نثبت بعد رمضان على نفس ما كنا عليه ونستمر بنفس الشكل في العبادة، أما أنا فقلت أنه يصعب على العبد الثبات بعد رمضان على نفس وتيرة وشكل وقوة العبادة، لم أقل أنها تنقص بالمرة، وإنما بالمنطق الذي سأقدمه في الأسطر القادمة قلت أن قوة العبادة تنقص قليلا... هي قدمت حججها على أساس أن العبد يجب أن يستمر بنفس قوة العبادة بعد رمضان لأن رب رمضان هو رب الأشهر الأخرى، ورمضان مدرسة للتطوير ثم الثبات على هذا التطوير...

أنا لم أختلف معها في هذه النقطة، فرمضان جعله الله تعالى محطة سنوية نفرغ فيها كل ما ملأناه في داخلنا طوال السنة من متاعب ومعاصي، ونجدد الصلة بالله تعالى ونطورها ونجعلها أكثر متانة من خلال ختم القرآن مرات عديدة وقيام الليل و صلاة التراويح والقيام بأعمال الخير وحضور حلقات العلم والذكر وغيرها كثير من أعمال الفضل الكثيرة...

كما هو معلوم فالملهيات والأدوات التي يمكن أن تجر العبد إلى الهلاك أربع، هي الهوى والنفس والدنيا والشيطان، خلال رمضان يبقى الهوى وتبقى النفس ونعيش في الدنيا ولكن الشياطين تصفد وتحبس... والشياطين من أكبر محفزات البعد عن الله والخوض في المحرمات،... وبما أنه في رمضان يكون مهجّرا تكون العبادة سهلة أكثر أضف إلى ذلك الصيام إن كان كما أراد الله ورسوله فهو يساعد أيضا على الإحسان في العبادات، زد على ذلك قناعاتنا الداخلية التي تجعل النفس تَقْبل رمضان كشهر تخصصه لله فقط...

كل هذه الأسباب تجعل العبد يبدع في العبادات في رمضان، وعند خروج رمضان ليس بالضرورة أن يختم العبد مرات كثيرة ويقوم بنفس ما كان يقوم به في رمضان (من طبيعة الحال إن استطاع المرء أن يكمل بنفس الشكل سنقتدي به ونحتفي به ونفتخر بثباته وندعو الله أن يبارك في عمله وأن يرزقه الإخلاص) بل بالأساس هو أن يجني المرء من رمضان شيئا مهما جدا وهو تهذيب النفس وتذكيرها بخالقها أكثر، هذا ما يجعل قابلية العبد على الله تزيد على ما كانت عليه قبل رمضان... ولكن كما قلنا فعودة الشيطان بعد رمضان وقلة الصوم وكثرة مشاغل الدنيا تجعل قوة العبادة تنقص قليلا بعد انتهاء رمضان.

أنا لا أدعو إلى البعد عن الله بعد رمضان، بل على العكس فنحن كل غايتنا هي أن نكون أقرب وأدنى من ربنا قلبا وقالبا، وإنما أنا أحاول من خلال هذه الخاطرة مناقشة ظاهرة و واقع يحصل مع الكثيرين بعد خروج رمضان، وتفسيره...

القرب من الله يقاس بالكيف قبل الكم، فصلاة واحدة خاشعة ربما تفضل صلوات كثيرات يغيب فيها الخشوع، وتلاوة واحدة للقرآن، بتدبر وخشوع يمكن أن تكون أقرب لله من ختمة كاملة سريعة للقرآن والله تعالى أعلى وأعلم...

الحِكم من العبادات: الصلاة

أغلب المسلمين في العالم اليوم ولدوا في وسط مسلم، فوجدوا الإسلام سهلا واستمروا على ما وجدوا أباءهم عليه،... هناك من طور منظوره للعبادات والإسلام بشكل عام وحاول تفحص حكمه والخفايا منه والغاية المبتغاة في الدنيا قبل الآخرة من العبادات، وهناك من قال كما قال السابقون من الأقوام البائدة "إنا وجدنا آبائنا"...

في هذه الخاطرة وما سيليها سنحاول تبيّن الحكم من بعض العبادات خاصة الرئيسة والتي يقوم عليها الإسلام... وأول ما نبدأ به طبعا هو الصلاة... ركن الاسلام الواجب الملزم، الذي لا يصح الاسلام إلا به.

هناك من يصلى فقط لأنها أمر من الله ووجب تطبيقه، لكن هل الله محتاج لصلواتنا؟ هل يحتاج إلى ملايير المسلمين كي يقفوا بين يديه حتى يثبت ربوبيته؟ لا بل هو غني عنا وعن كل أعمالنا وهو إله بنا أو بدوننا، بل نحن من نحتاجه...

لكن إذا تأملنا جيدا سنجد أن المصلي هو الرابح الأكبر، فأول شيء يفعله هو شكر الله تعالى على نعمه اللامتنهية وهو فعلا يستحق الشكر، لأنه سبحانه، كما جاء في سابق الخواطر، كريم منان وعطاؤه كثير لا يُحدّ... ومن الخجل وعدم العرفان أن لا نشكره سبحانه عليه، ومن ناحية أخرى فهي صلة العبد بالخالق الرازق الوهاب، ولك في الصلاة أن تطلب ما تشاء من الله، خاصة وأن أقرب ما يكون العبد من ربه إلا وهو ساجد بين يديه، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم من الصالحين كانوا إذا احتاجوا شيئا قاموا فصلوا ونادوا الله في صلاتهم فكان سبحانه يجيبهم. إذن من المستفيد أساسا من الصلاة؟

مؤخرا شاهدت برنامجا علميا يبين فيه الغرب كيف يستفيد المسلمون من الصلاة روحيا ورياضيا ونفسيا وطاقيا، أتمنى حقيقة أن نبحث كمسلمين في مثل هذه الحقائق العلمية المادية المرتبطة بروحانياتنا لأنها تزيد من اقتناعنا وإقبالنا على الله بعلم، والله كما قلنا سابقا يعبد بعلم وعن علم...

أليس من الغباء أن نضيّع كل هذه الخيرية وهذا الفضل العظيم من رب كريم؟ خاصة وأنه من العادي والمنطقي أن تكون أكثر العبادات المترددة في حياتنا والتي فرضها الله تعالى علينا في السماء هي الأنفع لنا على جميع الأصعدة إذا علمنا كيف نستغلها ونستفيد منها كما استفاد منها الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم و الصحابة والتابعون من بعده.

فلنغير نظرتنا للصلاة ونجعلها صلة مباشرة بالخالق كما جعلت في الأصل، وليس واجبا ثقيلا على أنفسنا نؤدّيه لنرتاح منه، حتى إن الرسول عليه أفضل صلوات ربي وسلامه كان يقول: "أرحنا بها (الصلاة) يا بلال"، أرحنا بها وليس منها، لأنها فسحة وبوابة وقتية في اليوم تفتح على صاحب الملك سبحانه حتى نفرغ عليه شحناتنا السلبية ونمتلئ بالرغبة والإقبال على الدنيا أكثر و الإبداع أكثر بعد تجديد اليقين والتوكل على الله...

الحِكم من العبادات: الزكاة

تكملة في نفس السياق الوارد في الخاطرة السابقة، سندرج الحديث هنا عن الركن الثالث من أركان الإسلام ونتبين بعضا من حكمه العظيمة والكثيرة...

الزكاة، الزكاة في اللغة تعني النمو والزيادة، وشرعا توجب على الأغنياء إخراج قيمة صغيرة من المال تقارب اثنان ونصف بالمائة للفقراء والمحتاجين...

دعونا لا نتحدث عن المعنى العبادئي للزكاة، وهيا نناقش فائدتها الدنيوية، وكيف يمكن أن تكون هذه الزكاة زكاة وهي إخراج للمال لا ربح له؟؟

نبدأ بالنسبة التي تبدو صغيرة جدا مقارنة مع مجموع المال، وإذا قسمنا هذه النسبة على أيام السنة ستبدو لا شيء... إذا أخرج صاحب المال هذه النسبة السنوية و وهبها الفقراء سيعم فضل كبير جدا سنحاول ذكر بعضه... أول شيء هو الفرحة اللحظية التي تبدو على الفقراء المستفيدين من الزكاة لحظة تسلّمها وأظن أن تلك الفرحة التي سيدخلها الغني على أخيه المحتاج لا تساوي أموال الدنيا، كمثل الغريق في وسط البحر الذي تأتيه قشة يمسك بها فتنقذه من الموت ولله المثل الأعلى، تلك الفرحة تكون سببا في كسر جلاميد الحقد والكره والحسد المدفونة في قلب المحتاج تجاه الغني، وبالتالي نتحول من معارك نفسية وربما قتل وسرقة وفساد وجشع وحرب داخلية بين مواطني الدولة الواحدة إلى تكتل و وحدة صف لمواجهة المتاعب المشتركة بين الجميع...

ثاني شيء يمكن الحديث عنه هو أن هذه الزكاة يمكن أن تساعد أصحاب الأفكار والمشاريع الصغرى في إنشاء مشاريعهم، وبالتالي تفعيل طاقات وعقول بشرية راكدة خامدة وجَعْلِها فعالة بناءة مبدعة، تساهم في بناء الإقتصاد العام للبلاد وبالتالي النجاح المادي للبلاد وخلق مكانة طيبة وسط بقية الشعوب...

صراحة، من بين أهم مكتسبات الزكاة التي يمكن الحديث عنها هو تلك الروح الأخوية العظيمة التي تُخلق بين الناس والحب والوئام الذي يتولد فيما بينهم... ويحكى على زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن أموال الزكاة فاضت في بيت المال ولم يبق فقير في البلاد ولم يبق شاب إلا و زوجوه، ومع ذلك استمر الفائض... فماذا اقترح الخليفة، قال لهم اشتروا ببعض تلك الأموال قمحا وزرعا وخذوه للصحاري وانثروه هناك علّنا نكرم الطيور والدواب العابرة هناك بدون مأكل... سبحان الله، ألّفوا القلوب البشرية وعاشوا السعادة وانتقلوا لتأليف قلوب بقية الخلائق...

الحِكم من العبادات: الصوم

تحدثنا في الخاطرتين السابقتين عن بعض حِكم الصلاة والزكاة وحاولنا بالقدر الممكن إعمال عقولنا فيها، والآن سنتحدث عن الركن الرابع والعبادة الرائعة الجميلة التي اختصها الله عز وجل لنفسه ولم يشرك في علمه بها أحدا...

إنها الصوم، العبادة التي لا يمكن لأحد غير الله أن يحسم في تحققها وفي العلم بها دون غيره إن كتمها العبد ولم يبدها... عبادة لها من الروحية والمنفعة الجسدية المادية الكثير...

اليوم نرى كثيرا من أصحاب التنظيمات والمنظمات يدعون إلى حرية الفعل ومقاطعة الصوم ومحاربته علنا وعلى الواجهات الإعلامية على أساس أنه مهلكة ومضرة للصحة...

تحكي إحدى الصحافيات البريطانيات التي أُرسلت في مهمة إخبارية إلى غزة سنة 2008 أنها دخلت أحد البيوت الفقيرة فوجدت امرأة كبيرة وحولها أبناؤها وبناتها الذين رحبوا بالصحافية وأكرموا نزلها، وأثناء الحديث علمت الضيفة أن أهل البيت صيام، فاستفسرت عن ذلك، أجابت العجوز أن هذا أمر الله وفرض من فروض الدين، أجابت الصحافية أن هذا الدين ظالم إذ يجعل امرأة في حالة حرب وفقر كبير تصوم... فأجابت المرأة في هدوء وحكمة بالغة: الله تعالى ألزمنا الصوم حتى نشعر بحال من هم أفقر منا فلا نتكبر ولا نتجبر ونحمد الله على نعمة يفتقدها كثيرون... صدمت الصحافية وتزعزعت دواخلها... بعدما عادت إلى بلادها عند انتهاء المهمة، بحثت وقرأت وتفكّرت فأسلمت...

وفي أمريكا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى أصيب أحد الجنود بشبه شلل في قدميه فنصحه أحد أصدقائه بالصوم، ففعل ذلك وبعد 17 يوما استطاع التحرك والمشي على قدميه، فافتتح مركزا للعلاج بالصوم بعدما درس وبحث في الموضوع واكتشف عجائب الصوم، ولازال المركز يعمل إلى اليوم ويعمل على التداوي بالحمية والصوم ويسيّره حفيد ذاك الجندي ويمكنك البحث في هذا الموضوع...

واليوم نرى الملاحدة والعَلمانيين والمستشرقين والغربيين يصومون (الفعل وليس العبادة) ويبحثون عن جني بركات الصوم الصحية... حينما نتحدث عن الصوم والإفطار نتحدث عن صوم مضبوط وإفطار صحي يتلاءم مع الصيام ليوم كامل ولا نتحدث عن الإفطار الهمجي غير الصحي الذي نرى على الموائد في رمضان...

ومن أقرب الحالات التي يكون العبد فيها قريبا من الله وهو صائم، والدليل عندما أمر الله تعالى موسى عليه الصلام بلقائه عند الواد المقدس أحب تعالى لقياه وهو صائم...

العقل بين الممكن والمستحيل

كلنا نملك عقلا يعمل ويفكر كثيرا، ومنا من أفكاره تتحدى العوائق لتصل إلى حدود العالمية ويسجلها التاريخ بمداد من ذهب،... لن نتناقش في هذه الخاطرة عن محيط التفكير وما يجب توفره من عزيمة وإرادة وصبر وغيرها من ثوابت الإبداع والإنتاج والتجديد، بل سنحاول معا الوصول إلى أساسيات إنتاج أفكار نوعية وجديدة تحدث تحولات تاريخية كما كان حال كثير من العلماء والمخترعين الذي بصموا أساميهم في كتب التاريخ وصاروا رموزا للبحث والإبداع...

استطاع الإنسان من خلال عقله أن يقسم إمكانياته إلى قسمين، قسم الممكن ويحيط به سحاب مظلم ومخيف أسماه اللاممكن أو المستحيل، لكن هذا العقل ومع مرور الزمن (إذا تتبعنا التاريخ الإبداعي وتطور الإختراعات والفكر العلمي) تمكن الإنسان من تطوير مساحة الممكن والزيادة من شساعتها وذلك بملامسة حدود المستحيل والإقتراب منه والمغامرة بالوصول إليه، هذه المغامرة في ظاهرها تكون تحديا للأعراف التي وضعها الناس في إطار المجتمع، فالناس يهزؤون بكل من يخالف الممكن في أعينهم وربما يعتبرونه سفيها أو حتى أحمقا، وهذا ما حدث كثيرا مع ألبرت إنشتاين الذي عاش دائما على حدود ما يسمونه الناس اللاممكن وغامر بأسرته وماله وكل مالَه من أجل الإستمرار في أبحاثه ودراساته التي كانت نقاط تحول تاريخية فيما بعد، وكان ينعث في الأوساط الإجتماعية العامية وربما حتى المثقفة بالمعتوه والخرف وغيراها من النعوث، لكنه لم يأبه...

الوصول إلى أضيق نقاط المنطق هو الذي يخلق الإبداع، أما القعود في منتصف وقلب المنطق لا يزيد العقل البشري إلا تكبيلا وتحجيما؛ لأن الوصول إلى هذا الحد يمنح للعقل الحرية للتفكير بشكل أعمق وأكثر خيالية، ولكن في نفس الوقت لا يجعل العقل المفكر يبتعد كثيرا عن المنطق البشري، وهذا ما يمكننا تسميته ب"الخيال الواقعي"، وأكثر الأمثلة التي يمكن طرحها في هذا الصدد هي فكرة الصعود للقمر التي كانت ذات يوم حلما مستحيلا، ثم صارت حقيقة اليوم بل وصارت شيئا عاديا جدا أن نسمع أن إنسانا وطأ القمر... لكن حينما يحبس الإنسان عقله داخل دائرة المنطق فلا يسبح بفكره خارج سرب العرف العلمي وبالتالي لن تكون هناك إنتاجية ولن يكون هناك إبداع وإنما هو تكرر وتكرار وانحباس وانغلاق على الذات وبالتالي خمول وجمود وتقوقع وتقزيم لقدرات العقل البشري الخارقة، في ظل حركية متواصلة للكون بأكمله...

لحظات وأيام

حياتنا ما هي إلا لحظات وأيام، لحظات تتكتل في أيام، وأيامنا ما هي سوى لحظات بسيطات العمر ولكنها مليئة بالأحاسيس والمشاعر وربما الضغوط والأفكار...

أما اللحظات فتختلف وتتنوع بحسب ابن آدم وطباعه ومختلف المواقف التي يمر بها ويعيشها؛ هناك لحظات تمر بالانسان يشعر فيها أن الجميع اتفق على خذلانه، وكثيرا ما تتكرر هذه اللحظات، لكن إذا حاولنا التمعن فيها يمكننا الخروج منها بفائدتين، أولها أنه يجب إعادة النظر في التصرفات والأفعال لأنه إذا كان ذلك الخذلان حقيقة وليس مجرد شعور فمن طبيعة الحال لن يتفق جميع الناس على خذلانك وظلمك دون سبب خاصة المقربين والمحببين منهم إذن ربما يكون الخلل فيه، والفائدة الثانية هي أن تلك اللحظات ربما تكون مناسبة للإختلاء بالنفس بعيدا عن كل الناس والتفكير بفردانية دون تأثير أو تأثر، فيراجع المرء فيها حساباته بالرغم من أنها مجرد إحساس وشعور، لكن الإنسان الذكي يجعل من كل لحظات حياته فرصا يستفيد منها بالقدر الذي يستطيعه، وفرصة مثل هذه لا يمكن أن تعبر دون تفكر، بل هناك من الناس من يستسلم ببرود لهذه اللحظات وهناك من ضعاف الإيمان من يصابون بالإحباط والإكتئاب المرضي وربما يصل الحال إلى الإنتحار... لحظة الشعور بالخذلان هي لحظة ضعف، ولحظات الضعف يجب أن تكون فرصا للشحن والتجديد من أجل الانطلاق من جديد... ومن ظن أن حياته ستكون كلها فرح وأحضان وسعادة و... فهو مخطئ، الحياة فرح وقرح وأحضان وخذلان، والفطن الذكي الكيس له في كل حالة خطة، في حالة السعادة والفرح يحمد ويشكر الخالق ويدعو بدوام النعمة ويستمتع بها ويبني فيها للقادم، ولحظات المعاناة والخذلان والضعف هي لحظات للمحاسبة والتقييم والتطوير...

وأما أيامنا فهي في مجملها ثلاثة أيام، يوم فات نتعلم منه ونستفيد من أخطائه وكبواته حتى لا نكررها ونتفاداها، ويوم حاضر نعيشه ونعمل فيه على التطوير والتحديث والبناء والتخطيط ورسم معالم الغد، ويوم ينتظرنا غدا حتى نحقق فيها ما خططنا له اليوم ويكون هو يوم حلم الحاضر... حياتنا لا تتعدى هذه الأيام الثلاثة، وما بوسعنا سوى معرفة كيفية استغلالها...

أيامنا في هذه الدنيا ثلاثة، ولكل يوم لحظات تتنوع بحسب حالتنا ونحن بما نملكه من عقل وفكر يمكننا مواجهة تحديات هذه الأيام واللحظات...

العبادة الصامتة

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: أحب العبادات إلى قلبي هي العبادة الصامتة !!

هل لاحظت أن في القرآن يوما أن هناك آيات كثيرة تعرفك على الله من خلال كونه؟ هناك في القرآن حوالي 1300 آية تتحدث عن الكون والطبيعة، أي أن خمس القرآن يعرفك على عظمة الله، هذا الخمس من القرآن استغرق من الوقت 13 سنة التي قضاها الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضوان الله تعالى عليهم في مكة، قضاها في التعلُّم وتعليم نفسه والصحابة أيضا حب الله وتطويره في داخلهم وتنميته، 13 سنة شبه خالية من الفروض والفرائض، 13 سنة كلها تفكر وتأمل في مخلوقات الله وفي آلائه ونعمه. هل تأخذ القليل من وقتك أنت (الوقت الذي هو نعمة من الله أيضا) فتتفكر في عظمة خالقك وقوته وجمال صنعته؟

العجيب في الأمر هو أن الناس وعلى رأسهم العلماء (ليس الكل طبعا) يهتمون ب 10 سنوات المدنية (الفرائض) ويهملون 13 سنة المكية معتبرين إياها سنوات تعذيب وتنكيل بالمسلمين، متجاهلين أنها سنوات عظام كانت كلها تعريف بالله وبملكوته. كم من العلماء اليوم يحاول تعريفنا على الله من خلال كونه ومخلوقاته ويحببنا فيه أكثر وأكثر؟ أو ليس من خلق الكون العظيم هو من فرض الصلاة والزكاة والصوم؟ أليس التفكر من أعظم العبادات على الإطلاق؟ هل الاسلام مجرد صلاة وجنة ونار؟ أم أننا نصلي وننام فقط ونترك الغرب يثبتون الحقائق الواردة في القرآن ويفسروها لنا؟

أسئلة كثيرة تدمي القلب كثيرا والله، وتجعل منا مجرد جبناء لا نقدّر النعم التي نعيش فيها وعظمة الإله الذي نعبده. هل فعلا نحن نعرف الله جيدا حتى نتمكن من حسن عبادته؟ الصحابة رضي الله عنه تربوا 13 سنة على معرفة الله وحبه فعبدوه مع الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم في 10 سنوات خير عبادة وكانوا صفوة الخلق بعد الأنبياء.

شيء آخر مثير للجدل وهو أول آية نزلت على الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم والتي يعرفها الجميع (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، هل نعي أن القراءة تكون حتى في مخلوقات الله من خلال التأمل والتفكر؟ هذه الآية العظيمة هي أول ما جمع أهل السماء والأرض وأول ما تحدث به أهل السماء إلى أهل الأرض، وأول همسة سماوية للأرض كانت مهدا لأقوى حضارة مرت بالأرض منذ أن خلقها الله تعالى فهل نقدرها حسن التقدير؟؟ للأسف لا أظن ذلك.

هل عرفت إذا ما هي العبادة الصامتة؟ إنها التفكر والتأمل في خلق الله وفي كونه، ونحن اليوم ومع التقدم العلمي الحاصل يمكننا الإستمتاع أكثر بالقرب من الله ومعرفة خبايا كونه أكثر وأكثر... لكن هل من مستجيب، وهل من قلب يجيب؟؟

الاسلام ليس صلاة وصوما وزكاة وحجا فقط، وليس أخلاقا وقيما فقط، الاسلام أساس الحياة ومنهجها وغايتها.

كفانا ملأً للبطون وهيا بنا نملأ العقول والقلوب حبا وعلما وتفقها ورقيا وسموا، فبنور العلوم نحب ربنا ونعرف خالقنا ونعشق رسولنا ونجعل الجنة مستقرنا ودارنا...

قيمتي وقيمتك

خلال إحدى الغزوات، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يؤدي واجبه تلبية لنداء الله ورسوله، فاجتهد وكدّ وقاتل ببسالة، أثناء ذلك، اتكأ رضي الله عنه على أحد الكفار حتى أطاح به أرضا، فبصق هذه الأخير في وجه علي، فما كان منه رضي الله عنه إلا أن وقف وترك الكافر وذهب يقاتل بعيدا... رأى أحدهم الموقف فسأل عليّا عما فعله ولماذا لم يقتل الكافر؟ أجابه العاقل الواعي المفكر: لو كنت قتلته لفعلت ذلك لنفسي انتقاما وليس ابتغاء لوجه الله تعالى...

إذا سألتك عن قيمتك وقدرك ماذا ستجيب؟ لأسهّل عليك الإجابة، قيمتك وقدرك مرتبطان بأهدافك وخططك ومشاريعك ومبادئك... فإذا كان هدفك المال أو الإشتهار أو تحقيق الرفاهية... فاسمح لي أن أقول أنك والله تنقص كثيرا جدا من قيمتك التي جعلها الله لك لأنك بخططك تلك تجعل قيمتك مرتبطة بمخلوقات مادية صغيرة جدا من مخلوقات الله وتذل نفسك لها، والخالق سبحانه جعلك فوقها كلها وجعلك في قمة الكرم والتكريم... أنت قيمتك تساوي الجنة، وليس أي مكان في الجنة إنما هو الفردوس الأعلى... لماذا لا نكبر معا سقف القيمة ونجعله هو وجه الله تعالى والقرب منه والتمتع بجنبه وفي رحمته وهذا ما جعل عليا بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه يترك الكافر لأنه يرى الله في كل حاله ويجعل من وجه الله قيمة روحية في نفسه، إذ لم يجعل موقف البصق يؤثر عليه ويدني من قيمته ومن سمو هدفه... وما أحلى أن يكون الله، كما ورد في الحديث القدسي، عيننا التي نرى بها، ويدنا التي نبطش بها، ورجلنا التي نمشي بها وعقلنا الذي نفكر به وحياتنا التي نعيشها وجائزتنا يوم القيامة دخول الجنة بإذن الله ورحمته.

أود أن أتحدث عن شيء آخر مهم جدا وهو الفرق بيننا وبين الصحابة والتابعين الصالحين من أهل الله في العبادة... نحن نعبد الله تعالى خوفا منه ورهبة من عذابه وهربا من غضبه، أما الصحابة وأهل الله سبحانه كانوا ولا يزالون يعبدون الله حبا فيه وحبا في رحمته وطمعا في خيراته ونعمائه، فعرفوا الله الرحيم الرحمن الودود المحب السميع البصير القريب وفهموا القصد الرباني والرحمة الإلهية في الخلق وعاشوا مع الله أجمل قصة حب. أتمنى أن نحب الله قبل أن نخشاه وهذا الحب ينبني على الثقة به سبحانه وحسن الظن به.

لا تجعل لفكرك وتفكيرك وحسن عبادتك وجمال عقلك الراقي المؤمن حدودا في الزمان والمكان، فالزمان والمكان مخلوقين من مخلوقات الله واتفقنا أننا لن نخضع لأي مخلوق، بل الخضوع يكون للخالق فقط؛ حرر كل أفكارك وابنها على التفكر في الملموس والتدبر في المجرد وغير المحسوس، عش بجسد في الدنيا وروح تتوق إلى الفردوس الأعلى ولا تبخل عليها بطيب الدنيا وحلوها. عش بالأمل، عش بالحب، عش بالإيمان، عش بالأخلاق، لا تنس أن حبيبك يقربك أكثر من نفسك فلا تُخجل نفسك أمامه...

الإسلام، بين التشدد والغفلة

سأطرح موقفين مختلفين ومتباعدين شيء ما، لكنهما نهران يصبان في نفس الحوض، وسنتناقش بعدهما قليلا حتى نوضح الغامض ونستشف الحقائق الداحضة.

قال أحد اليهود: أنا يهودي وأفتخر... الحكم لنا اليوم، زال مجدكم يا عرب ويا مسلمين، أرأيتم ماذا فعلنا بكم بدهاء؟ مشينا في شوارعكم فلم يعجبنا حالكم فهل تعرفون ماذا فعلنا؟ بكل بساطة نزعنا الحجاب عن بناتكم وغطينا به قرآنكم .. أصبحتم رهن إشارتنا نحرككم كيف نشاء ومتى نشاء .. صدرنا إليكم ملابسنا، انظروا إلى أسواقكم كلها ملابس تفضح عوراتكم والرائع أن جميعكم لها متقبل فبنطلونات الشباب بخصر نازل، ألا تعلمون أن هذا من صفات قوم لوط الاوائل؟ أما البنات والنساء فلا تدعوني أنزل دموعي من شدة الضحك على حال لباسهن .. يا لكم من أغبياء تهتفون : اليهود سرقوا أرضنا وانتهكوا عرضنا وأين أنتم؟ في الشوارع تعاكسون بناتكم يا للسخرية حالكم أضحى بالحضيض، نحن نشرنا ثقافة الصحوبية بين بناتكم وشبابكم بعد أن كنتم أطهر أمة أصبحتم اليوم أراذل، ومساكين .. ولم يعجبنا تفوقكم الدراسي فزودناكم بمناهج مملة، وملأنا تلفازكم ببرامج مضلة، فأصبحتم لا تفكرون بشيء له أهمية ولا داعي لتقولوا ما الذي يشغل تفكيركم فابقوا صامتين لأنكم ستزيدون من إحراجكم .. وجدنا أن لغتكم أجزل لغة وبها تقرؤون القرآن فقلنا لكم أن لغتكم مختلفة، صدقتم فورا وأصبحتم تتفاخرون بلغات زائفة (انجليزي معرب وأمثالها) .. قولوا كان جدي وكان أبي وأنتم لا تكونوا شيئا فنحن نحبكم هكذا .. لم يعجبنا توحدكم على حب فلسطين فقلنا لفتح أن حماس تريد أن تأخذ السلطة منكم، ثم قتلنا أعضاء من فتح وقلنا نحن حماس.. ودمرنا جامعة لحماس وقلنا فتح مرت من هنا، وجعلنا لكم فتنا سياسية في بلدانكم فلا تكادوا تتألمون لانفجار في العراق حتى يموت العشرات في مصر ويقتل المئات في سوريا، فنسيتم فلسطين (منقول بتصرف)

يحكي الامام الشعراوي: كنت أناقش أحد الشباب المتشددين فسألته: هل تفجير ملهى ليلي في إحدى الدول الاسلامية حلال أم حرام؟ قال الشاب: طبعا حلال، وقتلهم جائز. قلت له: لو أنك قتلتهم وهم يعصون الله ما هو مصيرهم؟ قال: النار طبعا. قلت له: الشيطان أين يريد أن يأخذهم؟ فقال: إلى النار طبعا. فقلت له: إذن أنت تشترك مع الشيطان في نفس الهدف، وهو إدخال الناس إلى النار، وذكرت له حديث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما مرت جنازة يهودي أخذ رسول الله يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: نفس أفلتت مني الى النار، فقلت: لاحظ الفرق بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الذي يسعى لهداية الناس وإنقاذهم من النار. أنت في واد والحبيب صلى الله عليه وآله وسلم في واد.

الآن بعدما قرأت الموقفين وأتمنى خالصا أن تكون قد استحضرت عقلك فيهما وغصت في عوالمهما، أود أن أطرح عليك سؤالا صغيرا، ما مدى حضور الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وسنته في حياتك؟ هل أنت من الغافلين الذين سرقتهم

الدنيا ومحاسنها التي لا تتعدى أن تكون ماكياجا يزول مع أول قطرة ماء؟ اتبعوا الحزب الخاسر، حزب اليهود ومن والاهم، يزينون الدنيا لمن نسوا الله وابتعدوا عنه بما سموه الديموقراطية والعولمة والموضة وغيرها من المفاهيم الغربية الغريبة. أم أنت ممن سحبهم التشدد فحرّفوا الدين، ومن أمثال ذلك المتصوفين والشيعة وغيرهم من الفصائل الذين شادّوا الدين فغلبهم واستغل الشيطان ضعفهم فجرهم إلى الهاوية والبدع ومحدثات الامور، وأحدثوا في الدين ما ليس فيه...؟

حينما خالف المسلمون أمر الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم

إذا سمحت لي أن أعود بك بضع قرون للوراء وبالضبط يوم "غزوة أُحد"، تلك الغزوة التي كان يومها عصيبا على المسلمين بقيادة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، فاستشهد كثير من كبار الصحابة والمقربين والسابقين للإسلام، وكاد المسلمون أن يهزموا في ذلك اليوم... لكن ما السبب وراء ذلك؟ هل هو ضعف الامكانيات؟ أم قلة المحاربين؟ أم الخوف؟... إذا تحدثنا عن الإمكانيات فقد نجح المسلمون في هزم الكفار من قبل وبإمكانيات أقل، وإذا تحدثنا عن المقاتلين فقد كانوا أقل فيما سبق ونجحوا بالرغم من ذلك، وإذا تحدثنا عن الخوف فالمنطق لا يقبل أن يخرج المسلم مجاهدا وبين حساباته الشهادة ثم يخاف... ببساطة السبب وراء تلك الفتنة العظيمة التي وقعت حتى أنه أشيع قتل الحبيب عليه أفضل صلوات ربي وسلامه هو عدم الإستجابة لأمره عليه الصلاة والسلام، والإستهانة بأمره حينما أمر ما يقارب الأربعين راميا بالبقاء على الجبل وسفحه حتى تنتهي المعركة، حتى يحموا ظهر المسلمين، لكن الدنيا أغرتهم حينما رأوا تراجع الكفار ورأوا مغانم كثيرة هنا وهناك فكانت العاقبة أن هددت الدولة الإسلامية بل وهدد الإسلام كله بالسقوط...

هذا أمر يبدو بسيطا جدا لكنه هدد الإسلام وكاد يبيده؛ خالف فيه المسلمون أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم،... وأعود بك إلى واقعنا اليوم، وأسألك عن حالك كمسلم وعن حال المسلمين مع أوامر رسول الله عليه الصلاة والسلام وعن سنته، أين أنت من سنة الحبيب وأين أنت مما جاء به؟

أتعلم أن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم في "غزوة أُحد" كسرت رباعيته (أسنانه الامامية) واخترقت الخوذة التي يضعها المحاربون جفنتيه الشريفتين وأشيع قتله، والسبب كما قلنا آنفا هو عدم الاستجابة لأمره بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وآسلم

تخيل معي وأنت تقرأ هذه الخاطرة البسيطة وقف أمامك شخص يلبس لباسا أبيضا وعلى وجهه ابتسامة مشرقة، رفعت عينيك فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء لزيارتك ورؤية حالك، ماذا ستقول له؟ !!!

إذا قال لك: أنا أُهنت وعُذّبت وضُربت وسال مني الدم من الضرب والتعذيب وكدت أُقتل عدة مرات وطُردت من منزلي وبلدي الذي أعشقه واتُّهمت بالسحر والكذب ولاحقني السفهاء بالحجر وفقدت أسناني وجُرحَت وجنتاي وقُمت الليالي ودعوت الله من أجلك لأنني أحبك وخبأت دعوتي ليوم القيامة حتى أشفع لك عند الله.. وأنت ماذا فعلت من أجلي ومن أجل سنتي ومن أجل الاسلام؟

هل تصلي الصلاة التي صعدتُ من أجلها حتى السماء السابعة في وقتها؟ هل تقرأ القرآن الذي كانت ترتعد فرائصي-وأتجمد حينما كانت تتنزّل عليّ آياته؟ لماذا لا تلبسين الحجاب يا بنيتي؟ ولماذا حجابك ليس منضبطا كما وصيتك حتى تحتمي من الأعين السامة التي تلاحق جمالك؟ ألم تعلمي أن أول شهيد في الاسلام كان ضحية لفعل يهودي من أجل ان

يخلعوا الحجاب عنك؟ ... تخيله يسألك هذه الأسئلة بكل ما أوتي من حنان وكل ما هو مشهور عنه من رحمة وابتسامة وعطف ربما عيناه الشريفتين تذرفان دموع الصدمة والحسرة... بماذا ستجيب؟ وبماذا سأجيب أنا أيضا معك؟ هل نحن مستعدون للقائه؟

إذا أخبرته، عليه الصلاة والسلام، أنك تحبه، سيجيبك أنه أيضا يحبك وفعل الكثير وصبر على الكثير بل فعل ما يمكن اعتباره مستحيلا لكي يثبت لك فعلا أنه يحبك؛ إذن هل يمكن اعتبار كلمة "أحبك يا رسول الله" و وضع اسمه الشريف على بروفايلات المواقع الإجتماعية كاف لإثبات هذا الحب؟ أم أن الحب الحقيقي يفيد الاتباع ومُلزَم بتطبيقه على أرض الواقع؟

تخيل أن يضع يده اليمنى الطاهرة الشريفة الكريمة على كتفك الأيسر وأنت أمامه وعلى وجهه ابتسامة المحب المسامح، (ما شعورك؟) ثم يخبرك: سأنتظرك يوم القيامة على الحوض حتى تأتي إلي وأعطيك شربة تروي عطشك فلا تظمأ بعدها أبدا، بيدي هاته التي أضعها على كتفك... هل ستكون يوما في الموعد، أم أن بعدك عنه صلى الله عليه وآله وسلم وتخلّيك عن الكثير من سنته في الدنيا سيبعدك عنه حتى يوم القيامة، وهو من سينتظرك بشوق هناك حتى تأتي إليه؟

العقل، دليل المؤمن

في كل وقت أجلسه مع نفسي، في محاولة مني لمناقشة أسرار الكون وطبيعة سيره والنظم التي ينهجها، دائما يثيرني التطور الذي وصله الإنسان في جميع مجالات الحياة، خاصة أنه في ألفيات ماضية كان لا يعرف حتى كيف يوقد النار، بل كان لا يعرف حتى كلمة "نار" ماذا تعني. ولكنه اجتهد في العلوم كلها، بغض النظر عن دين هذا الإنسان أو جنسه، اجتهد في الرياضيات فساعدته على تنظيم حياته الفكرية والمادية والتخطيط لها، واجتهد في الفيزياء، فاستطاع صناعة محركات وطائرات وآلات كانت خادمة له في جل شؤون حياته، واجتهد في الطب، فعرف الكثير عن خبايا الجسم الغابرة، وفصّل جسمه وجسم بقية المخلوقات تفصيلا، واجتهد في علم الفلك حتى بلغ الافاق. فعلا يقف العقل ذاهلا أمام كل هذا الاجتهاد والعمل والتفوق العلمي ويستحق منا كل الاحترام والتقدير، ونحن بدورنا يجب أن نكمل المسيرة ونعمل في نفس السياق.

لكن عندما نرى الامور بمنظار آخر نجد أن كل هذا الإبهار العلمي الموجود الآن مصدره "العقل"، والعقل ما هو إلا منظومة من المراحل، تبدأ بالحواس التي تلامس وتدخل إلى العقل الذي يحلل ويطور وينتج، يعني أنه لم يأت بالجديد، بل طور كل ما في الطبيعة وزاد عليه حتى يخدمه ويلبي رغباته. حتى المواد الأولية التي يعتمدها ما هي إلا مواد طبيعية، أما أن ينطلق من فراغ فهذا مستحيل.

إذا استمرينا بنفس المنظار وأضفنا مكبرا آخر، وجدنا أن هذا العقل هو منحة ربانية ميز بها الله عز وجل الانسان عن باقي خلقه. فإذا كان هذا مجرد عطاء رباني واستطاع أن يصل به الإنسان الى آفاق بعيدة، فما بالنا بخالق الإنسان وخالق عقل الإنسان؟؟ إذا كان هذا الإنسان الضعيف الهزيل صاحب العقل الصغير قد حقق كل هذه الإنجازات، فماذا نقول عن الله القوي المتين الذي خلق السماوات بغير عمد، والارض في ستة أيام؟؟

هل ذات ليلة صافية من السحاب كنت على سطح بيتك واتكأت على ظهرك و نظرت الى جمال تلك النجوم المتناثرة هنا وهناك، منظر جميل جدا، وطبعا تلك النجوم جميعها تفوق حجم الارض، بل حجم الشمس. من يمسكها ؟

هناك من يزعم أن الله غير موجود، وأن الطبيعة والكون يُسَيِّران نفسيهما بنفسيهما. نبقى في هذه الفكرة ونتساءل: هل يوما رأينا دولة أو مدينة أو حتى بيتا بدون قائد ومسير؟ حتى وان كان ذلك فسنرى الفوضى العارمة دون شك، هذا في بيت صغير، فما بالنا بكون كبير شاسع عظيم يسير كله بنفس النظام، من الذرة حيث يحوم الإلكترون حول النواة إلى الكواكب التي تدور حول نجمها أو شمسها. ثم أن القرآن قد أسكت ملايين الافواه التي ادعت الكفر والإلحاد لحد الآن ومازالت الإبهارات متواصلة من الخالق تعالى عبر كتابه العظيم، الذي ننال شرف لمسه وقراءته، فهو كلام الله عز وجل، كلام خالق الكون مالك الملك مدبر الأمر ربنا، أُنزل على خير الخلق ونبراس الحق صلى الله عليه واله وسلم، عن طريق أفضل ملاك وأقربهم الى الله تعالى، جبريل عليه السلام، في أفضل ليلة وأعظمها عند الملك القدوس عز وجل،

ليلة القدر. فيا له من شرف عظيم كبير أن نكون من أصحاب كتاب الله عز وجل. ويكفينا أن يكون طلب موسى عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل أن يكون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يكون عيسى عليه السلام أحد صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أريد أن أطلب منك شيئا صغيرا، حاول أن تقول: "الله خالقي .. الله رازقي .. الله معي" قلها من قلبك، بماذا تشعر؟ كررها إن أردت ذلك. عش بهذه العبارة البسيطة واجعلها شعارا لحياتك، حتما ستشعر بتغيير كبير يحصل لك. الله خالقي: خلقني وخلق الكون من ألفه ليائه، الله رازقي: رزقي كله مرتبط بالله عز وجل، الله معي: الله دائما يرافقني ويعيش معي في كل لحظة. عندما أتذكر هذه الأمور الثلاث التي عاش بها أحد التابعين، رحمه الله، سأفكر كثيرا قبل أن أقدم على عصيان الله عز وجل.

النصر والإنتصار

وأنا أقوم بجولة في القرآن في القرآن الكريم استوقفتني آية جميلة جدا هي قوله تعالى "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، ربما هناك من الناس من يقول أن هذه الآية مرتبطة بساحة الوغا والحرب، ولكن القرآن أشمل وأعظم وأوسع من مكان معين وكلماته تحمل بين طياتها مجلدات وكتبا... ونحن في هذه الخاطرة سنحاول الغوص ولو قليلا في معالم هذه الآية العظيمة...

لطالما ارتبطت كلمتي النصر والانتصار بالحرب و وساحة الوغا، لكن الإنسان وهو في دنياه فهو في حالة حرب مستمرة حتى يلقى ربه، حرب مع نفسه التي تجره إلى ما تهوى وتعشق، حرب مع شيطانه الذي يزين له ويحلّي له ما يكره ربه، حرب مع هواه الذي يريد أن يحط من قيمته وسبق لنا أن تحدثنا عن قيمة الانسان... وهذه الحروب كما قلنا تكاد لا تتوقف طالما أن الانسان مدرك جيدا لقدراته، محدد لأهدافه وغاياته، مسلح برفقة ربه ومحيط نفسه بمكارم الأخلاق...

لنتحدث عن الرعيل الأول بداية من الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه رضوان الله عليهم، هؤلاء من عرفوا الله حق المعرفة ونصروا الله في معاركهم وفي غير معاركهم، كانوا أهل الله بأخلاقهم وجميل أفعالهم فلم يسبوا ولم يضربوا ولم يعتدوا ولم يغتابوا ولم يخونوا ولم يلغوا ولم يعقّدوا حياتهم كما فعلنا ونفعل نحن اليوم، جعلوا الله بين أعينهم وعاشوا حياة بسيطة جدا، فبسط الله تعالى لهم الأرض وجعلهم على رؤوس الخلق جميعا في ذلك العصر وفي غيره من العصور، ولنا في الفاروق رضي الله عنه خير مثال، الذي كان من بين أعبد الخلق بعد الأنبياء والذي نصر الله منذ أن نطقت شفتاه الشهادة فكانت شهادة مبعوث الروم خير تلخيص لحسن نصرته وانتصاره لأمر ربه حينما وجده راقد تحت الشجرة وهو من هو، هو أمير المؤمنين الذي أرعب الروم والفرس بنصر من الله فقال في حقه: "حكمت فعدلت فأمنت فنمت"...

ونعود لحيتنا اليوم، حياة الذل والمهانة والفقر رغم الغنى ورغم كثرة الموارد، حياة التخلف والرجعية... كيف يمكن أن ينصرنا الله ويجعلنا في الريادة ونحن تكاسلنا عن نصرته، ومما يحز في النفس أنني قبل أن أكتب هذه الخاطرة بقليل قرأت مقالا لأحد المسؤولين المرموقين "المسلمين" يقول أن الجنس بين طرفين بالغين لا يعد رذيلة ! أليس من الوقاحة وقمة العار أن يقول قائد مسلم يدعي الثقافة مثل هذا القول الذي حسم فيه الله قبل عقود طويلة وأثبتت العلوم خطورة تلك الأفعال على المجتمع إن كان على النفسية وعلى الصحة وعلى المجتمع بأجمعه... صراحة نحن نتحمل كامل المسؤولية فيما نعيشه من ذل فكري ومادي، فنحن لم نحقق الشرط وهو نصرة الله بالأخلاق والآداب وحسن الفعل حتى يتحقق جواب الشرط وهو نصرة الله تعالى لنا وتأييدنا حتى نكون في الريادة حيث يوجد مكاننا الطبيعي والذي ارتضاه الله تعالى لنا... نحن أغنى الشعوب ماديا ولكن معيشتنا هي الأفقر في العالم، لأننا أفقر الشعوب فكريا... اللهم فقهنا ولا تحرمنا...

وماذا أعطتني الدولة حتى أخدمها؟

خلال انتقالاتي اليومية إلى الكلية، وكما هو الحال بالنسبة لأغلب الطلبة، أستقل الحافلة، ولا يخفى عليك حجم المشاكل التي يمكن أن تعترض طريقك كل يوم، من تأخر في المواعيد والزحام والمشاكل بين الراكبين والعمال... كل هذه المشاكل تجعل بعض الطلبة وحتى بعض العمال المستفدين من خدمات الحافلات لا يرغبون في تأدية واجب الركوب بدعوى تدني الخدمات، وبذلك يركبون الحافلة دون أداء، بل هناك بعض الطلبة من يطالبون بمجانية النقل... هنا يقف العقل قليلا من أجل التفكير والتفكر

ربما لا يختلف اثنان أن مشاكل الحافلات كثيرة جدا، لكن هل هذا مبرر أن نستفيد من التنقل دون أداء؟ خاصة وأن النقل قطاع مهم جدا ومن أعمدة الإقتصاد في البلاد وإذا قاطعت أنا الأداء وقاطعه الآخر والأخرى وقاطعنا جميعا كيف يمكن لهذا القطاع أن يبارح مشاكله إن قدّر الله تعالى وتحسنت إدارته؟ كما أن الرجاء يكون في الله وليس في شركة النقل ومسؤوليها، والمسلم الفطن الذي يجب أن يكون "مثاليا" في جميع أعماله، هذه المثالية لا أقصد بها الكمال، لكن أن يكون محترما لما عليه ومنتظرا أن يتلقى مقابلا لما يؤدي من مستحقات، وأن ينهج جميع الخطط والإمكانات الممكنة التي لا تضر مصلحة الجميع،... لأن بهذا الفعل وغيره من أفعال التخريب لا يضر الشركة في حد ذاتها فقط، بل يضر المستفيدين الحالين والمستقبليين وبالتالي يضر الدولة ككل...

وهذا الموضوع أو هذا الإشكال يحيلنا للحديث عن أناس يعيشون على أنغام عبارات السب والشتم في الدولة ويدعون عليها بالهلاك والدمار، وكأن هذه الدولة شيء مستقل جدا عنهم ومن واجبها أن تخدمهم وتلبي رغباتهم وتحقق أحلامهم الوردية... وينسون أن الدولة هي تنظيم لا يستثنيهم أبدا، وأنهم لبنات من لبناته، ربما في بعض الحالات يكون مسؤولو الدولة على جهل أو تجاهل منهم لما يحصل بين صفوف مواطني الدولة، لكن هذا لا يستثني كل فرد من أفراد هذه الدولة كي يكد ويجتهد ويعمل في مجاله، بل وأن يبدع ويجدد... ويجب التأكد أن الله لا يخذل عبده المحسن المبدع المجتهد خاصة إذا وضع نصب عينيه رفع شأن بلده وإعمارها بما يرضاه الله تعالى، كما يجب على كل فرد تحمل مسؤولياته أمام بلده وأن يبني أجيالا صالحة تكمل مشوراه الذي ابتداه وأن يكون بيته الصغير مثالا لدويلة صغيرة جدا ناجحة تماثلها دويلات أخرى (بيوت أخرى) داخل إطار الدولة، آنذاك لا يبقى لنا سوى أن نستمتع بنصر الله وتوفيقه وقد سبق أن تحدثنا عن نصرة الله في خاطرة سابقة، وجدير بالذكر أن الله تعالى قد وصف في كتابه خليله إبراهيم فقال عنه أنه كان "أمة"، أي أن قيمته وقوته الفكرية وعزيمته ورغبته في الإصلاح كانت تعادل أمة من الناس...

الدولة الناجحة في جميع قطاعاتها تبين مدى وعي شعبها وثقافتهم ومدى انسجامهم ومدى اتحادهم من أجل المصلحة العامة، كل هذا ينتج تكافلا وتضامنا مع محتاجي البلد وتشجيعا وتحفيزا لكسالاه...

الأديان والآلهة

حينما نسمع كلمة التدين أو متدين أو ما شابه نفكر مباشرة في إنسان تقي يعرف ربه جيدا وله صلة جد مقربة به سبحانه، لكن الله تعالى ذكر في كتابه العظيم عبارة فلسفية تقول: "لكم دينكم ولي دين"، هذه الجملة القرآنية ربما تغير مفهوم كلمة التدين السائد بين الناس اليوم...

جاء في القرآن الكريم جملة أخرى تقول: "أفمن اتخذ إلهه هواه"، يعني أن الآلهة كثيرة وربما لكل شخص إلهه الخاص به، من طبيعة الحال نحن نجزم أن لا إله إلا الله وحده سبحانه جل في علاه، لكن هذا في أقوالنا، وما نجد من أفعالنا ربما يختلف عن أقوالنا، أو لنقل أن أقوالنا تختلف مع اعتقادنا الحقيقي، فهناك من دينه وإلهه هو شركته أو هو مشروعه الخاص أو ماله أو تجارته، وهناك من إلهه هو حاكمه كما هو الحال بالنسبة لبعض الدول وخاصة العربية "المسلمة" منها، وهناك من يعبد زوجته للأسف الشديد،...

ربما هذا الكلام يبدو غريبا أو متعديا لحدود المقبول، لكن فعلا هذه الحقيقة وما نشاهده كل يوم يوضّح سوء حالنا للأسف، فعندما نجد امرأة تأمر زوجها مثلا بترك وإهمال أمه أو إدخالها لدار المسنين، أليس هذا على دين زوجته؟ ألم يأمرنا الله تعالى والحبيب صلى الله عليه وآله وسلم بالعناية بأمهاتنا والأخذ بأيديهن خاصة إذا كبروا وغطى الشيب رؤوسهن؟.. في هذه الحالة تتعارض رغبة الله مع رغبة الزوجة، وحينما يختار الرجل رغبة زوجته فهو يتنازل عن الله بشكل غير مباشر...

التدين أساسا هو الوفاء للمعبود وللتعاليم التي ترضيه وتوصل إليه، ربما هو مرتبط بالأساس بالله تعالى، لكن هناك من الناس من جعلوا لأنفسهم تدينهم الخاص، وأصبحوا تابعين لدياناتهم الخاصة التي ارتضوها لأنفسهم والتي ربما كانت نتيجة لتربية معينة أو وسط عيش معين... هذا ما يجعل إطلاق كلمة "متدين" على شخص ما رهين بوفائه لمعبوده ودرجة طاعته لا بنوع معبوده وقدراته... ربما يبدو كلامي غريبا لكنه كلام يستسيغه كل عاقل وكل ذي منطق حسن خاصة وأنني اعتمدت في تحليلي على كلام ربي سبحانه الذي لا تشوبه شائبة والذي يحاول سبحانه من خلاله إثارة الضالين والمنكرين إلى أن التدين والآلهة أنواع وأشكال ولكن التدين والإله الحقيقي له طريق واحد وواضح وليس فيه ضياع أو هلاك أبدا، ونختم هذه الخاطرة بقول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

زواج غير صالح تماما

من بين الأساسيات والأسس التي بنى عليها الله تعالى الكون حتى يدوم ويستمر نجد الزواج والتزاوج والتناسل... هذه الظاهرة حاضرة في حياة كل المخلوقات الحية سواء إنسانا أو حيوانا أو حتى نباتا، لكنه سبحانه ميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى بتزاوج خاص، خاصة وأنه تعالى منح الانسان عقلا يدبر به حياته بشكل أفضل من غيره، فصار الزوج والزوجة لباسين لبعضهما، يؤسسان لحياة كاملة معا لا يفترقان فيها، تحت سقف بيت واحد، يجمعهما الحب والرحمة والود والاحترام... لكن مع كل ذلك نجد أن أكثر الملفات حضورا في المحاكم وأكثر القضايا والمشاكل تكررا وتكرارا هي مشاكل الطلاق، ومن طبيعة الحال يطرح السؤال: لماذا؟

في هذه الخاطرة سنحاول الدردشة والحديث عن بعض ما يعرقل نجاح العلاقات الزوجية في حياتنا اليوم، نبدأ بأول مشكل مرتبط بالزواج التقليدي، في عصر كثرت فيه العلاقات وتطورت تمظهراتها في عصر التكنولوجيا الحديثة السريعة، حين يفرض الأبوين على ابنتهما زوجا دون رضا و قبول منها، ودون تفكير عقلي في صلاح الزوج لبنتهما خاصة وأننا في زمن طغت فيه الماديات، والراحة والأمان يكونان في المال وبالمال، بل والقناعة الأخطر هي أن السعادة تكون في المال...؛ يتم الزواج وبعد شهور أو حتى أيام تبدأ المشاكل بين زوجة غير راضية وزوج ربما لا يعي أن زوجته هي عوان عنده ولا يقدّر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، فلا الزوج يتحمل ولا الزوجة المسكينة تصبر على ما وضعاها فيه أبواها، الأخيرين الذين إما يحاولان ملاطفة ابنتهما حتى تصبر، أو يطلبان منها ترك البيت وهجر الزوج وطلب الطلاق...

الحالة الثانية وهي الأكثر شيوعا اليوم، شابين يلتقيان في الشارع، "يعجبان" ببعضهما ربما إعجابا ظاهريا، إما إعجابا بالشكل أو إعجابا بطريقة التعامل... والتي في غالب الاحيان تكون حالات تمثيلية لا تعبر عن الحقيقة الكلية، فإن كان على الجمال الظاهري فهو جمال إلى زوال، وإن كان على حسن التعامل فالانسان بطبعه وفطرته ذو مزاج ولن يكون دائما ظريفا ورائقا... يتبادلان حسابيهما على الفيس بوك ويتبادلان أرقام الهاتف وتبدأ حكايات السهر والتغزل والكلام الحلو والإبداع اللغوي والأحلام، وإذا التقيا يستعدان جيدا لهذا اللقاء، يلبسان ويحسنان أفعالهما وأقوالهما... كل هذا يؤدي إلى رسم صورة مثالية لكل طرف في مخيلة الطرف الاخر... إن قُدّر لهما أن يكملا حتى الزواج يقضيان الليالي الأولى من أجمل ما يمكن وأجمل ما يكون، حب وعشق وطاعة واحترام و... وما إن تمر أيام حتى تشرع الشخصيتان المثاليتان في الإختفاء تدريجيا وتتضح يوما بعد يوم الشخصيات الحقيقية الصادمة التي ربما تؤدي إلى جروح في القلب وانفعالات متكررة لكل طرف على الطرف الآخر... وماهي إلا أشهر معدودات حتى يمل كل طرف من الآخر ويريد التخلص منه بأي شكل من الأشكال...

هناك أسباب أخرى للفراق مثل صدمة أحد الطرفين بمسؤولية الزواج فلا يتكيف سريعا مع الأجواء الجديدة، وربما يخطئ في تقدير حجم المسؤولية أو الكيفية اللازمة لحسن العشرة وتمام الراحة الزوجية،... فيَصل الطرفان إلى طريق مسدود منذ البداية خاصة إن غاب الحوار والنقاش والتضحية والصبر والإحترام...

لكن يبقى السببين الأولين هما الأكثر شيوعا وتكرار وحضورا في حياتنا اليومية وفي محاكمنا العربية، نسأل الله تعالى حسن المنطق والهداية والصبر وأن يرزقنا زوجات صالحات محبات ودودات ولودات صابرات وأن يحسّن من تعاملنا معهن وأن يرزقنا الانسجام والتفاهم والحب والرحمة والود.

الثقافة والهوية،... الأصل

تتجول في الشارع، تدخل الجامعات، تدخل حتى المساجد، تدخل المواقع الإجتماعية فلا تجد إلا أشكالا وملابس ومظاهر وهندسات وترتيبات غربية غريبة عنا، نحن عرب تجنسنا، حتى في معاصينا أصبحنا اليوم نعصى الله على الطريقة الغربية، أين العرب؟ أين الهوية والثقافة العربية؟

لا تجد الهوية العربية والثقافة والأصل إلا في أروقة المعارض، لقد جعل العرب من هويتهم وثقافتهم شيئا يعرض للتمتع به سياحيا رغم أننا أهله وذاك أصلنا، قزمنا من حجمه وأصبح رقصا فوق المسارح وتصوفا نحيد به عن الطريق الأصح للتدين...

ضاعت سنون من العمل والجد والإجتهاد العربي لعلماء وضعوا لبنات الأساس لانطلاقات علمية عظيمة، فاختفى أثرهم اليوم، ولم نعد نجد لهم أثرا إلا في كتب غطت معالمها غُبَرُ الجهل والعتمة في عقولنا، وتحول العمل والجهد والإبداع تجاه الغرب الذين اعتمدوا على ما انطلق منه أجدادنا، ونهجوا نفس طريقة فكرهم ومنظورهم فأبدعوا أكثر وقادوا العلم نحو ثورات علمية كبيرة جدا... لكن الأخطر هو أن هذه الثورات العلمية صاحَبتْها ثورات فكرية قوية جدا، كانت سببا في إهمالنا لهويتنا العربية القوية الصلبة وانتهجنا طريقة تفكير جديدة غريبة علينا، ربما كان آخر الناجين منها هم أجدادنا وبعض آبائنا، أما نحن فقد انصعنا للأسف ،في أغلب الحالات، وراء تلك الحضارة والهوية المستهلكة وأسقطناها بقوة على واقعنا، فأصبحنا، كما يحكون، كالغراب الذي اغترّ بمشية الحمامة، وحينما أراد تعلم مشيتها استصعب عليه الأمر فنسي مشيته أيضا وصار ينط؛ كذلك نحن اليوم ننط في دوامة ضللنا فيها طريق الصواب والحق وصارت الأيام تهزأ بمن ضل فينا وتسقطه في مواقف ومتاعب لا يجد منها مخرجا إلا بمتاعب أشدّ وأعتى...

أصبحنا اليوم حبيسي العولمة والعلمانية والمعلومة الملموسة، فقدنا حِسَّنا وروحنا وفكرنا وأصبحا "كالروبوت" نرى ونسمع ثم نحفظ فنجسِّد، غابت عنا روحنا وغابت عنا بساطتنا وسهولة حياتنا، بالرغم من أن أجدادنا في قديم الحضارات كانوا أهل علم وتقدم إلا أن أنهم عاشوا حياة بسيطة وسهلة لأنهم كانوا يعرفون جيدا معنى أن تكون "إنسانا بأخلاق وأدب وفكر وهوية وثقافة"

ربما ثقافات الغرب هي الأكثر نجاحا وفعالية اليوم على ما يبدو، لكن هل سنبقى نحن مجرد مستهلكين؟ نستهلك حتى الثقافة والأخطر هو أن نستهلك هوية ليست هويتنا... متى سنعود لإحياء هويتنا ونخلق لأنفسنا ثقافة نعيد بها صرح القوة والريادة وأن نصنع لأنفسنا ما يليق بنا من علوم تحيي أرواح جدودنا ويفخرون بنا ونفخر نحن بهم وبتاريخهم؟

الإحتفال بالسنة الجديدة، الميلادية والهجرية

عند بداية كل سنة هجرية يسارع المسلمون إلى إبداء ابتهاجهم بالسنة الجديدة فيحتلفون بما يتناسب مع الأعراف والتقاليد بالمأكولات والمشروبات، ومنهم من يحيي ليالي ذكر وما شابه ذلك من أساليب تعبيرية عن مظاهر الفرحة، فرحة استقبال السنة الهجرية الجديدة. في المقابل عند اقتراب السنة الميلادية الجديدة ينقسم الناس بين مشارك ومعرض وتكثر الأسئلة حول مشروعية الإحتفال، الحكم الشرعي واضح بالأدلة ويمكن الإطلاع عليه في كتب الأحكام. لكن ما أريد التطرق إليه في هذه الخاطرة هو كيفية تعاملنا مع هذا النوع من المناسبات وكيف نستفيد منها...

بداية، كيف تم تحديد محرم كشهر فاتح للسنة الهجرية؟ السنة الهجرية تم تحديدها وبداية العمل بها على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من حار في بداية الأمر في اختيار الشهر المناسب حتى يكون البداية... فكر في رمضان، لكن رمضان له ما له من فضل، ثم فكر في شوال، وذو الحجة وشعبان و ربيع الأول... ولكل خصوصيته. لكن استقر هو و مشاوروه على محرم كأنسب شهر، أولا لأنه من الأشهر الحرم، وثانيا لأنه الشهر الذي ينتهي فيه الحجاج من حجهم ويعودون كيوم ولدتهم أمهاتهم من الذنوب، أي أنهم يبدؤون من نقطة الصفر، وبالتالي جعل محرم نقطة بداية للسنة الهجرية بأكملها.

بغض النظر عن المنظور الشرعي والحكم الفقهي في شأن الاحتفال برأس السنتين، الهجرية والميلادية، أظن أنه الأولى بالنسبة لنا هو أن نجعل الإثنين مناسبتين لمحاسبة الذات ومراجعتها ومناقشتها، وكما جعل بن الخطاب رضي الله عنه محرما هو نقطة بداية السنة الجديدة لأنه نقطة الصفر في ثقل الكاهل من الذنوب، كان له بعد نظر كبير وأخذ تلك الخطوة بعد تفكير عميق جدا، ونحن بدورنا يجب أن نستغل كل مناسبة مشابهة حتى نحاسب أنفسنا فيما فات، نقوم بجرد وتقييم لكل ما مضى حتى نبني على أساسه خططا ومشاريع للسنة القادمة ونكون متطلعين وحالمين وعازمين على تحسين الواقع نحو واقع أحلى وعقل أوعى وروح أطيب، ثم ننطلق من جديد...

ويمكننا التخيل معا إذا ما استطاع كل منا أن يقف مع نفسه وقفة مراجعة ووقفة بناء وتقييم، كيف ستكون سنواتنا القادمة مقارنة مع نظيرتها الماضية، وكيف سيكون فرق حال البلاد والأمة بأجمعها.

ربما يغلب على مناسبتنا طابع الإحتفال المادي، فنحضّر أشهى المأكولات والحلويات ونزيّن البيوت... لكننا ننسى الجانب الروحي العظيم المهم جدا ونغفل عن الإحتفال به الذي لا يكون إلا بالتحسين والتطوير وتمثل الاخلاق والآداب وحسن التعامل....

الإسلام، منطق وسعادة

يحكي أحد الشيوخ الدعاة إلى الله أنه كان في مطار إحدى الدول الغربية ينتظر الطائرة التي سيستقلها على أحد الكراسي، فأثاره منظر رجل مسن يضع قبة على رأسه بها أجراس صغيرة ويحمل حقيبة على ظهره وبيده كتب كثيرة،... تقدم منه وحادثه في لطف، وسأله عما يفعله، فقال أنه بوذي يدعو للبوذية منذ زمن، يجول العالم وينشر كتب دينه التي يحملها بين يديه وفي محفظته،... أما حكاية القبة ذات الأجراس فهي من أجل لفت انتباه الناس واستفزازهم حتى يستفسروا ويبحثوا في أمره... سأله الشيخ عن مصدر قُوتِه وشربه، فأجابه أنه لا يأكل كثيرا إلا ما أدركه من الناس؛ وكما كان متوقعا فقد حاول العجوز جر الشيخ و محاولة إقناعه بالبوذية وحاول أن يعطيه أحد كتبه لكن الشيخ أعرض ودخل معه في حديث حول الإسلام وحاول إقناعه به لكن المسن أعرض أيضا، فما كان من الشيخ إلا أن أعطاه كتابا له بالانجليزية وانسحب مستغربا من الموقف الذي عاشه...

وهنا من الضروري أن نقف وقفة بسيطة مع هذا الحدث البسيط في شكله والعميق في مضمونه،... نحن اليوم وبعد ما يقارب ألفية ونصف من السنين نرى شبابا مثقفا و قارئا يشكك في أمر الدين وفي صحته، بعد مرور ملايير الناس الذي اعتنقوه وطوروه واجتهدوا فيه وبلّغوا ما فيه بأمانة وحب و ورع وصدق، فوصلنا غضا طريا بوعد من الله الذي حفظ القرآن وحفظ الدين من كل تحريف، تحريف كان من الممكن أن يغير مجرى الدين ويحرفه عن مساره كما وقع مع سابق الشرائع،... لكن عقولها اليوم تعلمنت وتأثرت برياح فكرية غربية غريبة بعيدا عن هويتنا وثقافتنا وعقيدتنا، صارت تطعن في الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وتجعل من القرآن أرخص الكتب مضمونا، بل وتسب الذات الإلهية لأن كثيرا مما جاء في الإسلام لا يخضع لمنطقهم العقلي... أول تساؤل يمكن طرحه هو: هل كل من عاشوا بهذا الدين لعصور طويلة كانوا ضالين مضلَّلين لهذه الدرجة؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف نجح هؤلاء كل ذلك النجاح وكيف استطاعوا تحقيق ما لم يحققه غيرهم من الرفاهية والتآلف والسعادة؟... وسنأتي نحن اليوم بعقل غير عقلنا وبمنطق معاد لمنطقنا ونطعن في الدين؟ هل تأثر أبناء هذا الدين بهذه البساطة وسيهملونه بعدما عاشت به أقوى الحضارات على مر التاريخ وأحسنها أدبا وأخلاقا وأنجحها اجتماعيا واقتصاديا وحتى سياسيا بشهادة المؤرخين الغرب قبل العرب؟...

أتساءل كيف نطعن في دين يحمل حقائق لا يتحملها العقل البشري، علما أن هذا العقل لا يشغل من قدراته سوى ثلاثة بالمائة على أقصى تقدير، ومن الممكن أن يفسر هذه الحقائق الغابرة عنه إن استطاع تشغيل كل قدراته... ولا عجب أن هناك أشياء بسيطة لا يستطيع العقل تفسيرها، كالظلام مثلا... ما هو الظلام؟ ما لونه؟ ولا داعي للإجابة بأن الظلام هو عكس النور... ما هو الألم؟ ما هو الحب؟... هذه كلها أشياء نؤمن بها ونعتقدها ولكن لا نستطيع تحجيمها وتعريفها ماديا، وهذا مثال بسيط جدا ولله المثل الأعلى... الدين أساسا يبنى على الإعتقاد والعقيدة والإيمان، وهذا هو التحدي الروحي الأعظم... أن تصل لحقيقة وجوهر الروح بحثا عن الراحة والسكون، مما يجعل الإنتحار غائبا في مجتمع عاش

الإسلامَ حقا؛ وحاضرا بقوة في كل مجتمع مادي محض، حتى عند باقي الديانات التي لا تخلو من لمسات وضعية بشرية تفسد كمالها وتكامل منظومتها..

وكتعليق بسيط على من يقللون من الإسلام كمنظومة حياة كاملة متكاملة، ويجعلون منه دين حرب وضرب وقمع... الإسلام هو من حمى المرأة وجعلها شقيقة الرجل، الاسلام هو حرم الرشوة والسرقة والقتل والضرب والأذية وقطع الأشجار وحرق النمل، الإسلام هو من دعا للحب والسلم والرحمة بين الزوجين وبين الناس والعطف على اليتيم والحنان على المسكين، الإسلام هو من دعا للحرب بعد 15 سنة من الظلم والاعتداء على المسلمين وهو من دعا للحرب في حالة الإعتداء فقط وأن لا يكون المسلمين هم سبب الإعتداء... هذا هو الاسلام الذي لا يجسده كثير من المسلمين اليوم، يحملون أسماء مسلمة وقلوبا مترددة وعقولا غلبت عليها العلمنة،...

بالعودة إلى العجوز في بداية الخاطرة، فذاك يتنقل في العالم بأكمله ويصرف كل ماله على دينه، دينه الذي صنعه هو ومن شابهه، وصنعوا له آلهة بأيديهم يسجدون لها، يأكل القليل جدا ويدعو كثيرا، عكسنا نحن، نحن الذين نملك دين الحق، دينا كاملا متكاملا ناجحا على جميع الأصعدة وصالحا لجميع المجالات وداعما لكل التخصصات نعيش لنأكل ونبني العمارات والأبراج عوض بناء الفكر، وندع غير المسلمين يفعلون بصورة ديننا ما يشاؤون... صراحة حالنا يخجِل كثيرا.

قال أحدهم قد أسلم حديثا: عاشرت مسلما لأكثر من عقد من الزمن، ولم يدعني يوما لدينه ولم أر منه أي صفة من صفات الإسلام، ولو دعاني له لأقبلت لأني طالما بحثت عن النور وما وجدته حتى أسلمت...

ما يقوله الغرب عنا وعن الإسلام عادي جدا ومتوقع لسببن، أولهما: نحن أهملنا الدين ولم نكن دعاة له بأخلاقنا وجميل أفعالنا ففقدنا السعادة وأفقدناها غيرنا؛ ثانيا: لم نجرب أن ندعو غيرنا للإسلام ونريهم طريقه ونعرفهم عليه بأبسط الطرق والوسائل الممكنة بالنسبة لنا ولو بأخلاقنا وتعاملتنا، بل نجعلُه آخر همنا ولا نرى في غير المسلمين سوى ضحايا لمكرنا وحيَلنا حتى نفوز ببعض المال منهم، وهذا ما نزيد به الطين بلة ونزيد به إفساد صورة الإسلام في أعينهم بتملقنا وتذللنا لهم، فما ينتج ذلك إلا نفورا وبعدا قلبا وقالبا...

النجاح بالاسلام والنجاح بغيره ينتج عنهما مفهومان متشابهان في عقول كثير من الناس هما السعادة والفرح، أما النجاح بالإسلام فيخلق سعادة قرارها القلب تدوم وتدوم حتى في أتعس الظروف التي يمر بها الانسان وتهون الهم في عينه، وأما النجاح الثاني فيجعل القلب فرحا في لحظات النجاح فقط وما يفتأ ذاك الفرح أن يتلاشى لأنه فرح رهين لحظة ومشروط بها، عكس السعادة التي لا تشترط بشيء إن وقرت في قلب مطمئن ساكن لا تبرحه.

أفلا ينظرون؟

لطالما قلنا وكررنا وأعدنا أن القرآن هو دليل حياتنا وأنه الدستور الحياتي ومنهاج حياتنا الناجحة، وفي جولتنا بين معالمه وآياته نجد قصصا وعبرا وتوجيهات وتحذيرات... كل هذا يصب في سبيل إنارة الطريق وتوضيح ضبابيات حياتنا...

خلال إحدى جولاتي القرآنية أثارت حافظتي آيات في سورة الغاشية: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت"؛ الله تعالى في هذا الآيات يسألنا عن مدى نظرنا في هذه المخلوقات الأربع وعن كيفية إحداثها؛ ومن الطبيعي جدا أن الله تعالى لن يسألنا أو يضع تساؤلات لنا باعتبار الجانب المادي فقط لهذه المخلوقات، بل هي تساؤلات ذات أبعاد ومستويات عدة، اخترت أنا أن أتحدث عن البعد التربوي لهذه الآيات، خاصة وأننا طوال الخواطر الماضية حاولنا أن نربي نفسنا وروحنا وأن نصلح في ذواتنا قدر استطاعتنا، فأقول أن الله تعالى يدعونا من خلال هذه الآيات إلى تهذيب أنفسنا وجعلها كالجمل في الصبر والعزيمة القوية وتحدي الصعاب، فلا يكسرنا شيء ولا تتعبنا هموم الدنيا وأثقالها، بل نكمل الطريق كما يكملها الجمل رغم الشقاء والعناء وطول الطريق و وعورة الرمال وحرها...

يدعونا سبحانه أن نكون كالسماء في علوها، فتعلو هممنا وتعلو قيمنا وترتفع قيمتنا وتزدهي، فننافس النجوم في التلألئ بل ونتعداها بهمم قوية لا يوقفها شيء، تكابد الأعالي لتتوافد على باب الرحمن فتكسب رضاه ورضوانه...

يقترح علينا سبحانه وتعالى أن نكون كالجبال في ثباتها فهي الرواسي الشامخات، نشابهها في جميل ظهورها وحسن تراصها مع بعضها البعض، وصبرها على التعرية والحث، فلا تتأثر بل تستمر، كذلك نحن، يجب أن نكون حكماء ونبلاء ثابتين، سامعين لا مثرثرين ومفكرين لا جهلة منفرين...

كما يدعونا ربنا حبيبنا سبحانه أن نكون كالأرض في انبساطها وبساطتها، فلا نعقد أمورنا حياتنا، ولا نعقد أمور غيرنا، كما أن انبساط الأرض يدل على تواضعها وسهولتها، فكذلك هي الدعوة إلينا كي نكون متواضعين ليّنين مع بعضنا ومع غيرنا...

هذه آيات مربيات ومهذبات من الله المربي سبحانه الذي ربى خير الخلق عليه الصلاة والسلام ويريد منا أن نأخذ من نفس المشكاة فنكون خير الخلق وخير أمة أخرجت للناس حقا وفعلا.

هذا النوع من التربية يتطلب منا عقلا مفكرا متدبرا، لأنه يحتاج لتعمق كبير في كلام الله وأفعال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حتى نستشف عبق النهج التربوي الأنفع والأصح. هي ليست دعوة للمثالية، بل هي دعوة للإجتهاد والإبداع.

النهاية... الموت

كما هو معلوم، وكما هي سنة الطبيعة وعادتها، لكل بداية نهاية، ولابد أن تُحترم القوانين حتى يستمر النظام الدنيوي على أسسه كما هو منذ البداية، خاصة وأن الأنظمة الكونية جد معقدة ومحسوبة بأجزاء مليارية من الثانية أو أقل... لابد أن تأتي ساعة مغادرتنا ولحظة توديع أرواحنا لهذه الدنيا... لابد أن نموت.

الموت ظاهرة صحية، يأتي بعد انتهاء مهمة العبد في الأرض، سواء كان صالحا أو طالحا. والحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حينما انتهت مهمته بحجة الوداع وتمت الرسالة ارتأى أن يغادر الدنيا بعدما جاءه الملك وخيره بين الخلود والرحيل، محترما للقوانين الطبيعة التي وضعها الخالق سبحانه، ومات الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وآخر ما تلفظ شفتاه الشريفتين هو نحن: أمتي .. أمتي. حتى الفاروق رضي الله عنه كان من آخر ما فعل في هذه الدنيا، كان في ليلة يتجول على أطراف المدينة فرأى خيمة جديدة بها امرأة على وشك الولادة وزوجها لا يجد من يساعده ويساعدها، فأخذ الفاروق زوجته للمرأة وآنس الرجل حتى انتهت الولادة، فخرجت زوجة عمر رضي الله عنه بالمولود وسلمته لأمير المؤمنين، فحمله بين يديه فرحا به وأشرقت عيناه... بعدما تركا الرجل وزوجته وذهب لصلاة الفجر فقتله أبو لؤلؤة؛ استقبل حياة جديدة وفارقها رضي الله عنه...

ثم إن الموت نهاية، وما أصعب جميع النهايات، نهاية لحياة ومواقف، نهاية لحياة أولى فقط. لكن إذا مات الجسد تبقى الروح، وهنا يمكن الإشارة إلى ادعاء للوجوديين أن لا حياة بعد الموت، إذا كان الإنسان جسد وروح، يموت الجسد فتنطلق الروح، إلى أين تذهب؟ خاصة وأن الروح هي محرك الجسد وهي المسؤولة عن كل حدث؛ ثم إن الموت لا يعني انقطاع الأثر، ونحن اليوم نرى علما وفكرا ومعرفة ترجع لأناس ماتوا منذ زمن طويل... إذن الأولى أن يعمّر المرء بفكره ويترك بصمته وأثره في الإعمار والإستخلاف، لا لغاية شهرة وجاه فذاك يبلى، بل الغاية أعلى وأغلى...

نحن نعيش في الدنيا بجسد صنع من مقومات دنيوية تفنى وتبلى كما تفنى كل الدنيا وما عليها، لذلك لابد من الموت حتى نُرجِع للدنيا ما لها من تراب وطين لازب ونرحل بروحنا عند ربنا إلى حين البعث، آنذاك يكون البعث بأجساد من مواد أخرى، مواد تقبل الطبيعة والقوانين الأخروية المختلفة عن الدنيوية، لذلك كان من الضروري المرور من القنطرة الفاصلة... الموت

نحن في دنيا تجارب وامتحانات، يجب أن ننجح في هذه الإمتحانات ونحمل معنا أجوبة لأسئلة الآخرة حتى نكمل الإختبار على خير ونفوز بالرضا والرضوان الربانيين، "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى"

ختام وموعد...

إلى هنا ينضب نبع كلمات هذا الكتاب، ولكن لن تنضب الأفكار والتفكرات والنبضات والخواطر...

هو مجرد فسحة لدغدغة العقول والقلوب وجعلها تحاول التفكير في أمور اعتدنا عليها وعلى بساطته في ادواخلنا، لكنها تحتاج منها للتفكير بعمق أكبر وبمناظر أكثر وضوحا... ركزت خلال الكتاب على مفهوم "بناء الحضارة"، مفهوم كبير وضخم، لن أستطيع، من طبيعة الحال، الإحاطة بأسسه وقواعده كاملة، فقد حاولت على قدر المستطاع وعلى ما اتسع له صدري وعقلي الصغيرين أن أثير بعضا من المواضيع والمواقف والقضايا التي صادفتها أو صادفها غيري... نسير بذلك على نهج التغيير والإصلاح والإعمار، من أجل بناء مجتمع مفكر متفكر يبني الحضارة ويشيدها؛ كما هو معلوم فالتغيير يبدأ من النفس والذات، لن أنتظر تغيُّر المجتمع بأكمله كي أبدأ أنا، التغيير والتغير للأحسن فرض عين علينا جميعا، نصلح ذواتنا فنؤثر في محيطنا كي يصلُح، فيصلح الناس ويصلح المجتمع فنبني الحضارة...

أعلم جيدا أن الهدف كبير جدا، لكني لن أحرم نفسي وغيري من الحلم، علّ الحلم يتحقق، وسيتحقق لأن صاحب الكون سبحانه لا يرضى عن البناء والتشييد والإعمار بديلا، خاصة وأنه سبحانه من دعا لهذا المبدأ...

بناء الحضارة يتطلب أخلاقا، ويحتاج لعقول مفكرة ومتفكرة، وقلوب تنبض بالحب والتسامح والتعاون والتنازل والصبر... هذه الأسس ليست غريبة عن أمة كان قائدها رائدا في هذه الأسس وعلم البشرية معنى النجاح المذهل والمعجز...

كانت هذه رسالة من خلال هذا الكتاب المتواضع البسيط، أتمنى أن تجد حقا من يؤمن به ويصدّقها ولنا موعد قريب إن شاء الله في كتاب جديد دائما ضمن إطار التفكير والتفكّر وإعمال العقل، وهذه المرة سيكون المحور هو "حواء" ندردش بعض همومها ونتناقش بعض قضاياها... إلى ذلك الموعد أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

وتذكر دائما أن الإسلام ليس صلاة وصياما فقط، وليس تعاملات وأخلاق فقط، وليس مسجدا وجلبابا وعباءة فقط... الإسلام منطق وفكر وعقل، الإسلام ثقافة وهوية، الإسلام هوية وثقافة، الإسلام حياة.

أشكرك حقا على وقتك الذي منحته من أجل قراءة ما ورد في هذا الكتاب وأسأل الله تعالى أن يجعل ما قرأت في ميزان حسناتك وشفيعا لك عند ربك يوم الوقوف بين يديه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملنا سوءا وظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وصلى الله وسلم على الحبيب وعلى آله وصحبه.

لا تنسانا من صالح دعائك جزاك الله خيرا...

فهرس المواضيع

الحب أصل الوجود

الإبتلاء بين الرضا والسخط

الحب، قول وتجسيد

المسجد، معقل النجاح الحقيقي

علامات الساعة الكبرى، على الفيسبوك

العبادة حتى النجاح

لا إله إلا الله

الفراغ العاطفي

الموهبة

اقرأ باسم ربك الذي خلق

أفلا أكون عبدا شكورا؟

العقل، معقل الإبداع والتقدم

وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

عادي...

الطبيعة، حب فطري

وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

نحلم، نجتهد، ربما يتحقق...

الحب، ألم وأمل

المرأة بين العدل والمساواة

صلاة الجمعة

ملل، ضجر... ونور

الإصلاح

القرآن الكريم... والسنة النبوية

القرآن الكريم... والسنة النبوية 2

ثوابت الدولة... التعليم

ثوابت الدولة... العدل

ثوابت الدولة... الصحة

التحرر من قيود الدين، التحرر من قيود الخالق

التحرر من قيود الدين، التحرر من قيود الخالق 2

حب الآباء... حب الخالق

للحب ثوابت...

البطولة والنجومية

زمن كان فيه الخير، كل الخير

الحب والإستعمال...

الإخلاص والإحسان

الأسرة، لبنة لصناعة الحضارة

القوة قوة الروح

أصل الرجعية والتقدم

العبادة، قبل رمضان وبعده

الحِكم من العبادات... الصلاة

الحِكم من العبادات... الزكاة

الحِكم من العبادات... الصوم

العقل بين الممكن والمستحيل

لحظات وأيام

العبادة الصامتة

قيمتي وقيمتك

الإسلام، بين التشدد والغفلة

حينما خالف المسلمون أمر الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم

العقل، دليل المؤمن

النصر والإنتصار

وماذا أعطتني الدولة حتى أخدمها؟

الأديان والآلهة

زواج غير صالح تماما

الثقافة والهوية... الأصل

الإحتفال بالسنة الجديدة، الميلادية والهجرية

الإسلام، منطق وسعادة

أفلا ينظرون؟

النهاية... الموت

كما جاء الذكر وكما لاحظت أيضا أن الكتاب كان فسحة للمناقشة، لذلك أفتح باب التواصل والمناقشة معك يا قارئ...

أدعوك لترك انتقاداتك وملاحظاتك وتقييمك وتساؤلاتك على العناوين التالية حتى نفعّل مضامين الكتاب أكثر ونوضحها بالشكل الكافي...

مرحبا بالجميع...

https://www.facebook.com/ibrahim.kingsinger

himawoody@gmail.com

+212 6 00 70 52 53